



وَالذِّكْرُ الْكَبِيرُ



الدكتور محمد عبيد يميني
(ترجمة الله)

طَبَعَ عَلَى نَفَقَةٍ فَأَعْلَ خَيْرٍ
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادِهِ
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ



وَالِدَا الْكَيْبَانِ



فَوَالِدَاةُ الْكَيْمَانِ

الدكتور محمد عبد يمانى
(رَحْمَةُ اللَّهِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى رِجْوَانٍ مَبِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾

نور على نور

نُبِينَا الْهَادِي ﷺ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نُوْر .

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

وَسِيرَتُهُ صَحَائِفٌ مِنْ نُورٍ .

وَنَحْنُ حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنْ وَالدِّيهِ ﷺ

فَإِنَّمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ اصْطِفَاءٍ وَاخْتِيَارٍ ثُمَّ بِقَدْرِ اللَّهِ لِمُسْتَقَرِّ ذَلِكَ النُّورِ

الَّذِي ظَلَّ يَتَنَقَّلُ مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزَّاكِيَاتِ .

حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَآمِنَةَ .

* * * * *

وَحِينَ أَرَادَ اللَّهُ لِهَذَا النُّورِ أَنْ يَظْهَرَ لِلْوُجُودِ .

كَانَتْ حَادِثَةُ الْفِدَاءِ لِلدَّبِيحِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِ اللَّهِ .

وَكَانَ ذَلِكَ الْحَدَثُ مُدْخَلًا لِالْتِقَاءِ فَرَعَى الدَّوْحَةِ الْفَرَشِيَّةِ

بَنِي زُهْرَةَ وَبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ سَدَنَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَجِيرَانِهِ .

بِخِطْبَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهَبِ الزُّهْرِيَّةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

لِيَتَحَقَّقَ مَوْعُودُ اللَّهِ بِاصْطِفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَآمِنَةَ بِنْتِ وَهَبِ

قَرَارًا لِخَيْرِ نَسَمَةٍ بَرَّهَا اللَّهُ فِي الْوُجُودِ .

وَلَيْنَا لَا شَرَفَ أَكْرَمِ أَبَوَةٍ وَأَطْهَرَ أُمُومَةٍ لَخَيْرِ مَوْلُودٍ عَرَفْتُهُ الْحَيَاةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واستقر ذلك النور في رحم أمّنة بنت وهب

فكانت أمّنة من كل سوء وشر وبلاء

وكانت أمّ النور الهادي الساطع على مر الدهور

وإذا كان الثرى الذي يضم جسد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره أفضل من كل

بقاع الأرض

فكيف بالرحم الذي ضم هذا النور ... ؟

والصلب الذي خرج منه هذا النور ... ؟

صلب عبد الله بن عبد المطلب

* * * * *

وقد أخبرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طهارة آبائه وأمّهاته حيث قال:

«لَمْ أَزَلْ أَتَنَقَّلُ مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزَّكَايَاتِ حَتَّى

وُلِدْتُ مِنْ أَمْنَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ»

وقال تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾

فنوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظل يتنقل من صلب طاهر إلى رحم زكي حتى وصل إلى عبد

الله وأمّنة وفي هذا بيان لكل ذي بصيرة، أن الله اختار لحبيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الآباء

وأطهر الأمّهات.

فأشرف الآباء أبأؤه، وأطهر الأمّهات أمّهاته، من لدن آدم وحواء إلى

عبد الله وأمنة لم يدينسوا بشرك ولا زنا ولا سفاح.

بل اختار له أفضل العشائر، وأكرم القبائل، وأشهر الفصائل، فأفضل العشائر عشيرته، وأكرم القبائل قبيلته، وأشهر الفصائل فصيلته، وذلك شأن الأنبياء والمرسلين يبعثون في أنساب قومهم، كما ورد في حوار هرقل مع أبي سفيان الذي روته الأحاديث الصحاح.

وقد قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(١)، فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ»^(٢).

وقال ﷺ: «خرجتُ من نكاح ولم أخرج من سفاح»^(٣) من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يُصبني من سفاح الجاهلية شيء»، وقال ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم، من خير قرينهم، ثم تحيّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تحيّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وحيثهم بيتاً»^(٤).

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تُنازِعني الأمم كابرأ عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب: هاشم وزُهرة»^(٥).

(١) مسلم ٤/١٧٨٤.

(٢) البخاري ومسلم. الترمذي ٦/٣٦. وأحمد ٤/١٧.

(٣) البداية والنهاية. ابن جرير في التفسير. ١١/٥٦. البيهقي في السنن ٧/١٩٠. ابن سعد ١/١/٣٢.

(٤) الترمذي عن ابن عباس وأحمد ١/٢٠١.

(٥) السبل ١/٢٧٧. الدر المنثور ٣/٢٩٥. كنز العمال ٣٢٠١٩.

وعنه ﷺ أنه قال : « ما تشعبت شعبتان إلا كنت في خيرهما »، ونحن إذ نتكلم عن والديه ﷺ ، إنما نعرض جزءاً من بيان هذه الخيرية، وذلك الاصطفاء، تصديقاً لخبر الله على لسان رسوله الذي لا ينطق عن الهوى .

ونريد أن يعلم الشباب والناشئة على وجه الخصوص طرفاً من تكريم الله لنبيهم، وصوراً من تعظيم الله له على مر الدهور، وألا يسمعوا لمن يؤذون رسول الله ﷺ في أهله وأرومته، ليلتزموا بما أمرنا به القرآن . من توقير رسوله وتعزيره والإيمان به صفيماً مكمللاً ونبياً مرسللاً وشريفاً موقراً، وفريداً مطهراً :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

وقد جاءت الآيات الكريمة موجهةً للمؤمنين ومعلمةً إياهم أدب التعامل مع مقام رسول الله ﷺ .

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

فكل تكريم لرسول الله ﷺ يعدُّ من الإيمان، وكل أدب معه، وكل ثناء على أصله وأزواجه وذريته وأصحابه، يعد من القربات ومن الحسنات وأفضل الطاعات: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وأتمنى على علمائنا الأجلاء أن يبينوا الشباب هذه الأمة واقع الاصطفاء وحقيقة الاجتباء، حباً لله ورسوله وأدباً مع من جعل الله اتباعه دليلاً على صدق محبة العبد لمولاه سبحانه وتعالى وسبيلاً للفوز بمحبته ومغفرته ورضاه.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

وأن هذا الاتباع لا يمكن أن يوتي ثماره في نفس صاحبه ما لم يكن مبنياً على محبته ﷺ وتوقيره وتعظيمه وإدراك كماله البشريّ.

«فلا إيمان يقيناً لمن لم يكن محمد ﷺ وأحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وأحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين، ولا إيمان يقيناً لمن لم يكن هواه تبعاً لما جاء به من الهدى والعلم، ولن يغني في قبول الإيمان أتباع مع جفوة، أولئك يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ولن يفارق الإيمان صدق المحبة، فالاتباع المرضي عنواناً لمحبة الله هو الاتباع النابع من المحبة لنبيه ﷺ، ومن هنا كانت طاعته طاعته، وهديّه هديّه، ورضاه رضاه، وبيعته بيعته، وصراطه صراطه، خلع عليه حلل فيضه، وألبسه خلع رأفته ورحمته، فكان الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، وكان المرسل رحمة للعالمين، وخصّه بالصلاة عليه، ومنح ملائكته - تشريفاً - هذا الفضل بين يديه، وأمر عباده المؤمنين أن

يتخلَّقوا بخلقه الأعلى في سبحات الصلاة عليه، وجعل سلامهم عليه
وصلة أرواحهم وصائل روحه، لينعموا بجنات رده تسليمهم عليه، ولن
يشقى من حظي من حبيب الله برد السلام عليه.

فصلوات الله، و صلوات الملائة الأعلى، و صلوات المؤمنين في عالم
الغيب والشهادة أينما حلَّ الزمان بهم في مكان من الوجود على محمد
المجتبى من أشرف أرومة، رسولا لخير أمة كانت به بؤرة شمس الإنسانية
ومشرق إشعاع الهداية الربانية، والسلام الأكمل الأنضر ورحمة الله وبركاته
عليه ما ذكر الله الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون»^(١).



(١) محمد رسول الله ﷺ - محمد الصادق عرجون - (١٧/١-١٨).

سليلة أسرة قرشية كريمة ..

ولدت في مكة، في جوار البيت العتيق في أم القرى، بكل ما يعرف لهذه البلدة من حرمت عريقة، ولأب كريم وجد عظيم، وفي بيئة تعرف ماله من حسب ونسب وأرومة، ومن سيدة هي من أفاضل قريش نسباً وموضعاً.

أبوها.. وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة بن كلاب (حكيم) يجتمع نسبها مع النبي في كلاب، فاسم أبي النبي عبد الله بن هاشم ابن بن قصي بن كلاب، وجدها عبد مناف يقرب اسمه بابن عمه عبد مناف بن قصي جد النبي ﷺ، فيقال: المنافان، تعظيماً وتكريماً.

وأما.. برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، وجدتها لأما أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، ووالدة أم حبيب هي برة بنت عوف، يصل نسبها إلى لؤي بن غالب ابن فهر.

فآمنة من ناحية أمها ومن ناحية أبيها من سلالة طيبة طاهرة وأصل كريم، ونسب يعتز به، وفي هذا يقول ﷺ: «لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلْنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُهَدَّبًا، لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا» (١).

وذكر القاضي عياض في كتاب «الشفاء»، في فصل كرامة نسبه ﷺ، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فيما رواه واثلة ابن الأسقع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ،

(١) الدر المنثور ٣/ ٢٩٤ و ٥/ ٩٨.

واصطفى قُريشاً من كنانة، واصطفى من قُريشِ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم^(١). إنه نسب كريم، وأصل طيب طاهر.

ومن يتتبع سيرة هذه السيدة يجد أنها كانت زهرة يانعة، وسيدة في بني زهرة، وكما قال ابن إسحق: كانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً، ولم يخطبها عبد الله والد النبي ﷺ، وإنما الذي تقدم لخطبتها هو أبوه عبد المطلب بن هاشم، وهو مَنْ هو في قريش شرفاً وقيادة وريادة، وأمّه فاطمة بنت عمرو بنت عمرو المخزومية، وهي أيضاً من صميم البيت القرشي، وجدته لأبيه سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية، وهذه السيدة كان لها شأن عظيم، فقد كانت لاتنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، فإذا كرهت رجلاً فارقت. أما جدته لأمه فهي تخمر بنت عبد قصي القرشية، وأمها سلمى بنت عامرة بنت وديع الفهري، فهذا الفتى كما جاء ذو شأن عظيم وأصل كريم، كما جاء في جمهرة أنساب العرب: ذو نسب وأصل كذلك، وخاصة في شأن مكة وضيوف مكة وبيت الله العتيق وزمزم.

(١) رواه مسلم: ٤/ ١٧٨٤، والترمذي: ٦/ ٣٦، وأحمد في المسند: ١٧/ ٤.

أنا ابن العواتك والفواطم

الفهرس

ودعونا نبدأ الآن بالحديث عن جداته عليه الصلاة والسلام، فقد قال هذه الكلمة العطرة في معرض حديثه عن جداته، ولم يتحدث بها عليه الصلاة والسلام من باب الفخر، ولكن كتعريف لمنازل هذه الصفوة من العواتك والفواطم، وقد قالها ﷺ في معرض الاعتزاز بنعم الله عليه في نفسه وأمهاته وآبائه. جاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: «أنا ابن العَوَاتِكِ من سليم»^(١)، وفي مناسبة أخرى في يوم «أحد» روي أنه قال: «أنا ابنُ الفَوَاطِمِ».

والعواتك جمع عاتكة، والعاتكة صفة لامرأة طيبة مطيبة، كريمة مكرمة، وكان يقال: امرأة عاتكة، كصفة للمرأة المعطرة، وقيل المصفرة بالزعفران والطيب. كما يقال عن المرأة العاتكة المرأة الكريمة، وقيل: هي صفة للمرأة، الطاهرة والعاتكة هي التي شرفت وسمت حتى إنهم يصفون النخلة العاتكة، بأنها التي لا تتأبر.

وسبحان الله كيف كان يعتزل ﷺ في أكثر من مناسبة فيقول: «أنا ابن العَوَاتِكِ»^(٢) قالها يوم حنين، كما قالها عليه الصلاة والسلام في بعض المغازي: «أنا ابن العَوَاتِكِ»^(٣)، والعواتك من جداته جاء ذكرهن في حديث شريف، وقد ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة ابن عاصم ورمز

(١) ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة بن عاصم ورمز له برمز الصحة فهو حديث صحيح، التيسير للمناوي: ٣٧٥/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

له برمز الصحة فهو حديث صحيح.

قال بعض المحدثين: كان له ثلاث جدات من سليم، كل تسمى عاتكة. وهن: عاتكة بنت هلال بن فالج ابن ذكوان أم عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج أم هاشم، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة، وبقية العواتك من غير بني سليم. ثلاث قرشيات، وأربع سلميات واثنتان عدوانيات، وهذلية واحدة، وقحطانية، وثقفية، وقضاعية، وأسدية.

وكان يضيف عليه الصلاة والسلام: «أنا ابن العواتك من سليم»^(١)، و«سليم» تفخر بهذه الولادة وقال قتبية: كان للنبي ﷺ ثلاث جدات من سليم، اسمهن عاتكة، فكان إذا افتخر قال: «أنا ابن العواتك»^(٢) قلت: بلغني أن إحداهن أم عبد مناف، والأخرى أم هاشم، والثالثة جدته من قبل زهرة^(٣) (أي أم وهب جده لأمه).

ولعل السبب ما روى عن بعضهم أنه ﷺ مُرَّبُّه على نسوة ثلاث من بني سليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت عليه، ورضع منهن^(٤).

وكانت قريش تعلم بنسبه الشريف، وأصله وطهارة هذا النسل، ونبيل هذا الأصل، فلا تقدح فيه، ولا تغمز ولا تلمز، وإنما كان كل ما يرفضونه نزول الدين على هذا اليتيم.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١٣٦/٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ١/٣٧٨.

والرسول ﷺ ليس بدعاً عندما يذكر آباءه وأمهاته، لأن العرب بصورة خاصة تعتز بأبومتها، وتكرم هذه الأمومة ويلفت نظر الذي يتصل عن قرب بما كتب الأقدمون عن الجزيرة حرص العرب في جاهليتهم البعيدة على كرم النسب وطهارة الأرحام ونقاء الأصول. قال حكيمهم أكثم بن صيفي: «لا يفتننكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف».

وقال شاعرهم :

وَأَوَّلُ خُبَثِ الْمَاءِ خُبَثُ تُرَابِهِ وَأَوَّلُ خُبَثِ الْقَوْمِ خُبَثُ الْمَنَاكِحِ

ونقل أبو عمرو بن العلاء - الراوية الصدوق الحجة وأحد السبعة القراء الأئمة - عن أحدهم قال: «لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها» قيل له: «كيف ذاك؟» قال: «انظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجر بأحدهما».

وقال قائلهم لبنيه: «قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا»، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ فقال: «اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها»^(١).

(١) تراجع سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، ص ٢٥ ، دار البيان للتراث، الطبعة الأولى.

النبي ﷺ بضعة أمه

ولا شك أن النبي ﷺ بضعة أمه ، فهو جزء منها. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال عن السيدة فاطمة رضي الله عنها: «هي بضعة مني» ففي الحديث عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني» (١).

والبضعة: القطعة من الإنسان، والولد جزء من أمه وأبيه كما هو ظاهر، فالسيدة فاطمة قطعة من أبيها ﷺ وأما خديجة رضي الله عنها، والقول بأن السيدة آمنة غير ناجية ومعذبة في النار يؤدي إلى القول بأن النبي ﷺ جزء ممن هو معذب في النار، والنبي ﷺ قطعة من أمه وأبيه، وهذا يقتضي نجاتهما لأنه جزء منهما، والقول بأنهما يعذبان يتنافى مع ذلك تنافياً يفهمه كل عاقل.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه ومن أنجبوه مختارون جميعاً من الله: «إن الله اصطفى..» الخ وحديث: «أنا خيار من خيار من خيار...» يشير إلى ذلك.

وإذا كان ﷺ يأمرنا أن نتخير عند الزواج مؤكداً أثر الأصول في الفروع بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» (٢)، وخيارنا قد يصيب ويخطئ، ولكن الله لم يدع الخيار لآبائه وأمهاته، بل اختارهم سبحانه بعلمه المحيط واصطفائه الأكيد، كما ثبت في أحاديث اختيار الله لأصوله واصطفائه لهم:

(١) صحيح البخاري في الفضائل رقم ٣٧١٤.

(٢) ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ٤٢/٢.

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار»^(١)، فمن طعن في أي حلقة من حلقات نسبه الشريف فإنما يرد على النبي ﷺ قوله، ويطعن في اختيار الله تعالى لنبيه ﷺ آباءه وأمهاته وأجداده وجداته، ولا يصدق بإحاطة علم الله بمن يختاره والعياذ بالله، ويرد أحاديث الخيرة والاصطفاء التي رواها أهل الحديث.

وقديماً قال الشاعر:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

ولا شك أيضاً أنه ﷺ أعظم مبارك بارك الله فيه وبارك عليه وجعله مباركاً أينما كان، في ذاته وذراته..

أما ذاته وذراته الشريفة فإنها فياضة بالبركات والخيرات، فما مست يده الشريفة طعاماً ولا شراباً إلا سرت فيه البركة ولا بصق في طعام أو ماء إلا وبورك فيه.. ولا مس جسمه الشريف ﷺ ثوبٌ إلا حلت فيه البركة^(٢).

فكيف لا تحل بركته صلى الله عليه وآله وسلم في أبيه الذي كان نور النبي ﷺ في وجهه، وفي أمه التي انتقل نوره إليها عندما حملت به، وولדתه وأكرمها الله تعالى بأن جعله ﷺ جزءاً منها؟.

هذه هي قصة أمومة سيدنا رسول الله ﷺ، وذكره بأنه ابن العواتك والفواطم، وهذا هو جانب من نسب هذه السيدة الكريمة، والوعاء الطاهر الذي حمل هذا النور.. النبي الكريم.. والرسول العظيم ﷺ.

(١) رواه مسلم في الفضائل والترمذي في المناقب: ٥ / ٥٤٤، وكذلك أحمد في المسند / ٢١٠.

(٢) انظر كتاب الصلاة على النبي ﷺ للشيخ عبد الله سراج الدين.

وأخرج البخاري في المغازي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم حنين:

«أنا النبيُّ لا كَذِبُ، أنا ابنُ عبدِ المُطَلِّبِ»^(١).

قال ابن حجر: وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله، فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس، لما رزق من نباهة الذكر، وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقيل: لأنه كان قد اشتهر ذلك بين الناس أنه خرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله، ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم، فذكره سيف بن ذي يزن لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنة، وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره، وأن العاقبة له، لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم^(٢).

وروي عنه أنه ﷺ قال أيضاً: «أنا ابن الذبيحين».

وذكر في «كشف الخفاء» حديث عن معاوية بن أبي سفيان أن أعرابياً شكاً جذب أرضه، وطلب المساعدة وقال: يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه. فقيل لمعاوية: من الذبيحان يا

(١) صحيح البخاري في المغازي رقم ٤٣١٥.

(٢) فتح الباري ٣١/٨.

أمير المؤمنين؟ فقال: عبدالله وإسماعيل^(١).

والذبيح الأول هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، ويرجح هذا القول علماء كثيرون منهم ابن تيمية، ويأتي بعشرين دليلاً على ذلك، ونلاحظ إذا استعرضنا الآيات التي ذكرت قصة ولدي سيدنا إبراهيم: «إسماعيل» و«إسحق» أن الآيات بنفسها وسياقها حكمت في القضية بأن الذبيح هو «إسماعيل» وانظر معي: آية: ﴿قُلْنَا يَنْتَهِ كُونِي بَرًّا وَسَلْمًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ هي في سورة الأنبياء وبعدها: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾، وواضح أن هذه البشارة جاءت كما ورد في موضع آخر كانت عند مجيء الملائكة لإهلاك قوم لوط، ولم يرد فيها أي ذكر للذبيح، بل جاء فيها ما ينفي أن يكون الذبيح هو إسحق، لأنه بشر به ولداً يلد يعقوب، وهذا يؤكد أنه سيعيش ويتزوج ويولد له يعقوب، فأين يكون الابتلاء بالذبيح وبشارة الله لا تتخلف.

أما الآيات المذكورة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿١١٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٢١﴾... ﴿١٢٢﴾ من سورة الصافات، فهي التي تذكر قصة الذبيح، وتؤكد أنها وقعت للغلام الحلیم الذي بشر به أولاً، ولم تكن له من قبله ذرية، بدليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ثم تذكر الآيات بعد ذلك قصة الفداء والذبح، وأنها كانت بلائاً مبيناً، ثم تذكر بعدها بشارة أخرى بغلام آخر يعيش ويولد له «يعقوب» مكافأة له - أي لإبراهيم عليه السلام - على صبره على الابتلاء بأمر الذبح، وقد وصف الغلام الأول بوصف «حلیم» والثاني بوصف «علیم».

(١) رواه الحاكم وابن جرير.

ووصف عليم كان لإسحق حسب السياق، وقد ورد مرتين الأولى: في سورة الحجر في قصة الملائكة الذاهبين لتدمير قوم لوط وذلك قبل ولادة إسماعيل بسنين كثيرة (١)، ﴿وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٥١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ٥٢ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٥٣ قَالَ أَبَتَرُمُونِي عَلَىٰ أَنْ الْكِبَرُ فِيهِ تَبْسُرُونَ ٥٤ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ٥٥ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٥٨ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٩ إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْعَابِرِينَ ٦٠﴾

والمرة الثانية في سورة الذاريات (٢) في نفس السياق : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ٢٦ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٨ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ٣٣ مَسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧﴾ وإنما ذكرت بعد البشارة بالغلام الحليم وهو إسماعيل عليه السلام.

والجدير بالذكر أن مناسك الحج التي تؤدَّى في منى قد شرعت بعد حادثة الذبح والفداء.

ففي تفسير القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات

(١) الحجر / ٥١ - ٦٠ .

(٢) الذاريات / ٢٤ - ٣٧ .

حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم بأمر الله تعالى.

فرمي الجمرات إحياء لهذه الذكرى، وذبح الدماء في وادي ثبير إحياء لهذه الذكرى، بل ذبح الأضاحي أيضاً في يوم النحر إحياء لهذه الذكرى والله أعلم.

وجاء في القصة تعرض إبليس لهاجر ولإسماعيل قبل إبراهيم عليهما السلام حيث جاء لهاجر فقال: أتدرين أين ذهب إبراهيم بابنه؟ قالت: للحطب في وادي ثبير، قال: ذهب ليذبح ابنه في وادي ثبير، ويزعم أن الله أمره فسارعت وقالت: سمعاً وطاعة لأمر ربي ومرضاة خليل الله زوجي، فتبع إسماعيل فقال له: أتدري أين يذهب أبوك؟ قال: للحطب في وادي ثبير، قال: إنه ذهب بك ليذبحك في وادي ثبير ويزعم أن الله أمره، فقال إسماعيل: سمعاً وطاعة لأمر ربي ومرضاة خليل الله أبي.

فعرض لإبراهيم قائلاً: إن المنام الذي رأيته من الشيطان وأنا ناصح لك فقال: اخساً يا عدو الله فلن تعدو قدرك وضربه بسبع حجرات عند الجمرة الأولى ثم عرض له عند الجمرة الوسطى بنفس الأسلوب فرده بنفس الصورة وضربه بسبع حجرات ثم عرض له عند الجمرة الصغرى بنفس الأسلوب فرده بنفس الصورة وضربه بسبع حجرات، وتابع الخطوات لتنفيذ أمر الله، وصارح الأب ابنه: ﴿ قَالَ يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَكَابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۗ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يا أبت كبني على وجهي حتى

لا ترى وجهي فتدرك رقة الأبوة فتحول بينك وبين تنفيذ أمر الله.
يا أبت كفكف ثيابك حتى لا يصيبك دمي فتراه أمي فتجزع لأمر الله،
فارتاح إبراهيم لجواب ابنه، وفعل كذلك، فأكبه على وجهه، وحز
بالموسى على رقبتة فلم تقطع، فحدها وعاد فحز بها على رقبتة فلم
تقطع، ثم حدها وعاد فحز بها على رقبتة فلم تقطع، فرفع رأسه إلى
السماء ليعتذر إلى ربه، فرأى جبريل بيده كبش من الجنة نزل به
فداء للذبيح، كما جاء في الآيات القرآنية المتقدمة^(١).



(١) ملخص الزرقاني على المواهب .

الذبيح الثاني عبدالله والد النبي ﷺ

وسبب قصة الذبيح الثاني هو تجديد حفر زمزم فقد دفن واختفى مكان زمزم وطويت بعد أن فجرها الله تبارك وتعالى للسيدة هاجر أم إسماعيل قبل ظهور عمران مكة المكرمة بعد الطوفان ورفع قواعد بيت الله الحرام.

وقدر الله تبارك وتعالى أن يعاد حفرها على يد جد النبي ﷺ، عبدالمطلب بن هاشم، وذكر كتاب السير والأخبار أن عبدالمطلب بينما كان نائماً في الحجر قرب الكعبة المشرفة إذ أتى في نومه، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدئ به عبدالمطلب من حفرها، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبدالله اليزني عن عبد الله بن زهير الغافقي: أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبدالمطلب بحفرها قال: قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قال: قلت وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة قال: قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر المصنونة، قال قلت وما المصنونة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي فتمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل، فغدا عبدالمطلب مع ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر بين الوثنين إساف

ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها.

قال ابن إسحاق : فلما بُين له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطي^(١) كَبَّرَ .

فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل وإن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيه، قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم، قالوا: كاهنة بني سعد هذيم، قال: نعم، وكانت بأطراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه : قال ما ترون؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل حفرة بنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل واحد دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله

(١) جدران البئر من الحجارة المطوية به.

إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا، لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه دون أن يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها^(١). فكانت السقاية والرفادة إلى عبد مناف قبل حفر زمزم، ثم صارت السقاية بعد وفاة عبد مناف إلى هاشم ثم لأبنائه من بعده.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ أذن للعباس في حجة الوداع أن يترك المبيت في منى من أجل سقاية الحجيج. وأن النبي ﷺ وقف عليهم وهم يستقون الماء منها، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استأذن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: «اسقني» قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: «اسقني» فشرب منه، فأتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم

(١) السيرة لابن هشام وذكرها أيضاً ابن كثير في قسم السيرة النبوية من كتابه البداية والنهاية.

قال: «لولا أن تُغلبوا النَّزْعُ تُحْتَى أضع الحبل على هذه» يعني عاتقه وأشار إلى عاتقه^(١).

وقوله: «لا تنزف أبداً»، فهي حقاً لم تنزف أبداً منذ ذلك الوقت وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود وقد ذكر هذا الحديث الدارقطني، وهي لا تزال حتى العصر الحاضر كما كانت في الماضي، وقد أخبرني أحد المشرفين على زمزم الدكتور عبدالعزيز الحميدي الأستاذ في جامعة أم القرى - حفظه الله - أنها لا تزال كذلك حتى اليوم، وذكر ذلك أيضاً المهندس يحيى كوشك في كتابه زمزم.

وقوله: «احفر برة» وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار وغاضت عن الفجار.

وقوله: «احفر المضمونة»، قال وهب بن منبه سميت زمزم المضمونة لأنها ضمن بها على غير المؤمنين فلا يتصلع منها منافق، وروى الدارقطني ما يقوي ذلك مسنداً عن النبي ﷺ: «مَنْ شَرِبَ مِنْ زَمَزَمَ فَلْيَتَّصَلِعْ فَإِنَّهُ فَرَقُ ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يستطيعون أن يتصلعوا منها».

وفي تسميتها بالمضمونة رواية أخرى رواها الزبير: أن عبدالمطلب قيل له: احفر المضمونة ضمنت بها على الناس إلا عليك، فإن ماءها طعام طعم وشفاء سقم، وهي لما شربت له^(٢)، وقد تقوّت من مائها أبو ذر رضي الله

(١) صحيح البخاري في الحج ١٦٣٤ - ١٦٣٥.

(٢) وحديث (ماء زمزم لما شرب له) رواه ابن ماجه بسند جيد، وأحسن ما جاء عن هذا = الحديث ما أخرجه الفاكهي عن ابن الزبير قال: لما حج معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا. فقال: انزع لي منها دلوا يا غلام قال فنزع له منها دلوا، فأتي به فشرب، وصب على وجهه ورأسه وهو يقول زمزم شفاء وهي لما شرب له،

عنه ثلاثين بين يوم وليلة فسمن حتى تكسرت عُكْنُ بطنه وذلك عندما قدم مكة يبحث عن رسول الله ﷺ في حديث إسلامه المخرج في الصحيحين.

ومعنى: «طعام طُعْم» أي تغني شاربها ومتطعمها عن الطعام.

وحديث «ماء زَمَزَمَ لما شُرِبَ له» صححه - كما قال ابن حجر أربعة من الحفاظ، وهو حديث مشهور^(١).



وقال الحفاظ ابن حجر إنه حسن مع كونه موقوفاً لوروده من طرق، وأفرد فيه جزءاً، واستشهد له في موضوع آخر بحديث أبي ذر رفعه: أنها طعام طعم وشفاء سقم، وأصله في مسلم ٢/١٦٢ كشف الخفاء.

(١) انظر كتاب فضائل ماء زمزم.

وانفجرت الرمال عن الوديعة
فإذا هي «زمزم» عين لا تغيض!!
وصدق إلهام «هاجر» حين قالت لأبي الطفل الذي جاء به مع أمه
إلى هذا الوادي الأجرد اليابس
آلله أمرك بهذا ؟
قال الخليل عليه السلام: نعم، ولم يزد، ثم ولى مسرعاً كأنه على موعد
قالت: إذن لا يضيّعنا

* * *

أجل يا أم إسماعيل .. لن يضيّعكما الله
وفي صلب وليدك وديعة الوجود
وهدية السماء إلى الحياة بمن فيها وما فيها

* * *

أجل يا أم إسماعيل .. إن الله سيجدد بوليدك صادق الوعد ديباجة
الحياة

وسيخلع عليها من جلايب الفيض السماوي ما يحوّل ظلامها نوراً
وجبالها مآذن، وهضابها منائر للهداية
ووديانها مساجد يتعبّد في محاربها الموحدون
وآفاقها مراتع للحرية الإنسانية
يرتع في مسارحها المؤمنون بقداسة الحياة
وتتفلق صخورها عن سر الأسرار في هذا الوجود
عن النور المخبوء في مشكاة كنز الغيب
عن كلمة الله وأمانته منذ كان آدم بين الطين والماء*
*محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون



صورتان الجوانب بئر زمزم توضحان تدفق المياه بين الأحجار

نذر عبد المطلب

الفهرس

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر، زمزم لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما تكامل بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم أتوني، ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم جوف الكعبة.

ولما جاء يستقسم بالقداح في جوف الكعبة خرج القدح على ابنه عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به على إساف ونائلة حيث ينحرون، وكانا من أصنامهم، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه فلئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا؟

ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرافة - لها تابع من الجن - فيسألها عن ذلك، فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق بخبير، فركبوا حتى جاؤوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، فقالت له: ارجعوا عني اليوم

حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك، قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله وعشراً من الإبل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشراً ثم ضربوا، فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عشراً ويخرج القدح على عبدالله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم يدعو الله: قد رضي ربك يا عبد المطلب فعندها زعموا أنه قال: لا حتى أضرب عليها بالقدح ثلاث مرات، فضربوا ثلاثاً ويقع القدح فيها على الإبل، فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع عنها سبع.

وقد روي أنه لما بلغت الإبل مائة ضربت القدح على عبد الله فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين، فخرج القدح على عبدالله فزادوا مائة فصارت ثلاثمائة ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرها عند ذلك عبد المطلب، والصحيح الأول.

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة، فأمرها بذبح مائة من الإبل، وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب، وسألت عبد الله بن عمر. فقال

لها : إن الله أمر بالوفاء بالندر. فقالت له فأنحر ابني؟. قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فبلغ هذا الحديث مروان، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا بالفتيا، إنه لانذر في معصية الله، ثم أمر المرأة أن تستغفر الله، وتعمل ما استطاعت من الخير، فسُر الناس بذلك، وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتنون: «ألا نذر في معصية»^(١).



(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٢ / ٢٤٠ .

الراغبَاتُ فِي عَبْدِ اللَّهِ

أصبح حديث الذبح والفداء حديث مجالس قريش في منتدياتها، ووصل الحديث إلى نساء قريش وربات الحجال في خدورهن فتحدثن به وشغفن بعبد الله بن عبد المطلب الفتى القرشي الهاشمي أجمل شباب قريش وأوسطهم نسباً والذي كانت أنوار النطفة النبوية التي يحملها في ظهره تلوح على محياه، وذكر أصحاب الأخبار والسير أن بعض فتيات قريش رغبن في الزواج بعبد الله، وعرضن عليه ذلك بل إن بعضهن عرضن عليه أن يواصلهن سفاحاً لا نكاحاً.

فقد كان سوق البغاء والسفاح معروفاً عند العرب في الجاهلية حتى كان البغايا ينصبن على أبوابهن رايات يعرفن بها.

ففي الحديث عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاحٌ منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئتها - حيضها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من

أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادها دخل عليها، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة^(١)، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطته به^(٢)، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم^(٣).

وذكر أصحاب الأخبار والسير عدداً من النساء عرضن أنفسهن على عبدالله والد رسول الله ﷺ، منهن أم قتال بنت نوفل، أخت ورقة بن نوفل، وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر واتبع الكتب، أنه كائن في هذه الأمة نبي، فطمعت أن يكون منها، فأبى عبد الله فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ

أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤).

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي: حدثنا علي بن حرب، حدثنا محمد بن عمارة القرشي، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، حدثنا ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبدالله ليزوجه، مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة، قد قرأت الكتب، يقال لها فاطمة بنت مرة الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه

(١) القافة: جمع قائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالأثار الخفية.

(٢) فالتاطته به أي استلحقه به وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق.

(٣) صحيح البخاري في كتاب النكاح رقم ٥١٢٧.

(٤) الانعام / ١٢٤.

عبدالله، فقالت: يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟
فقال عبدالله :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ

فكيف بالأمر الذي تبغينه

وفي هذا يقول الشاعر الدكتور محمد سليمان حول رغبتهن فيه
وحيائه وتعففه عن الحرام:

وبالعناية قد ربيت في أدبٍ وصانك الله من فحشٍ ومن

وكنت أثر أبناء حظيت بما لم يحظه ولدٌ من حُبِّه الجزلِ

وعشتَ ذا ورعٍ في كلِّ من الحياة ولم تهبطِ إلى

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة،
فأقام عندها ثلاثاً، ثم إن عبد الله أتى الكاهنة فقالت: ما صنعت بعدي؟
فأخبرها، فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكنني رأيت في وجهك نوراً
فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد^(١).

وروى البيهقي وأبو نعيم عن ابن شهاب رحمه الله تعالى قال:
كان عبدالله أحسن رجل رُئي قط، خرج يوماً على نساء قريش، فقالت
امرأة منهن: أيتكن تتزوج بهذا الفتى فتسطب - تدخل وتسكب -
النور الذي بين عينيه فإنني أرى بين عينيه نوراً؟ فتزوجته آمنة بنت
وهب.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/ ١٧١ وانظر الوفا بأحوال المصطفى.

وروى الزبير بن بكار عن سودة بنت زهرة بن كلاب الكاهنة قالت يوماً لبني زهرة: إن فيكم نذيرة، أو تلد نذيراً فأعرضوا علي بناتكم، فعرضن عليها، فقالت في كل واحد منهن قولاً ظهر بعد حين، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت: هذه النذيرة أو تلد نذيراً له شأن وبرهان منير^(١).

وهكذا صان الله نبينا ﷺ من لوث الجاهلية وسفاحها فحدث ما أخبر عنه النبي ﷺ بعد ذلك.

ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خرجتُ من نِكَاحٍ ولم أخرج من سِفَاحٍ، من لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصَبِّني من سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شيءٌ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًى مُهَذَّباً، وَلَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»^(٣).

ويؤيد ذلك ما في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ من خَيْرِ قُرُونِ بني آدَمَ قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/ ٣٢٥.

(٢) أورده ابن سعد في الطبقات: ١/ ٣٢.

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٧٩. الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤.

(٤) رواه البخاري في المناقب: ٤/ ٢٥٩، ٢٢٩، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٧٣.

وروى البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وحسنه عن العباس رضي
الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من
خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»^(١).



(١) ذكره الترمذي في المناقب : ٥ / ٥٤٤ ، وأحمد في مسنده : ١ / ٢١٠ ، وكذلك في ٤ / ١٦٦ .

المستقرُّ والمستودع

وإذا نظرنا في المستودع الذي أودع الله سبحانه وتعالى فيه هذا النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ، نلاحظ أنه أصل طاهر وهذا من الأمور التي لا تحتاج إلى دليل، فهو كما جاء معنا: نخبة بني هاشم وسلالة قريش، وأشرف العرب وأعزهم نفراً، سواء من قبل أبيه أو أمه، وهو مولود في مكة المكرمة، ومن أهل مكة المكرمة، وأعداؤه ﷺ يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به أبو سفيان بن حرب - قبل إسلامه - بين يدي ملك الروم، وكان بينه وبين النبي يومذاك حروب، وبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان. قال: نعم الفحل لا يقرع أنفه، وكان مسروراً جداً بذلك مع أنه كان بينه وبين النبي حرب، ولكنه لم يرتفع له سيف بعد ذلك ضد الرسول ﷺ.

فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذة ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (١).

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ (٢) قال من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً (٣).

(١) الأنعام / ١٢٤.

(٢) الشعراء / ٢١٩.

(٣) رواه البزار والطبراني رجاله ثقات.

وعن عطاء عنه في الآية قال : «ما زال نبي الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه»^(٢).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ : «قال جبريل قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد ، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم»^(٣).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه - معصلاً - قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل فقال : يا محمد إن الله يعثني فطفت شرق الأرض وغربها، وسهلها وجبلها فلم أجد حياً خيراً من مضر. ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش، ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من من بني هاشم، ثم أمرني أن أختار في أنفسهم فلم أجد نفساً خيراً من نفسك»^(٤).

(١) رواه أبو نعيم. دلائل النبوة ٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٢١٩ كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ، وينظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثاني ص ٢٧٥.

(٣) رواه الطبراني، والبيهقي، وابن عساكر. قال الحافظ في أماليه : لوامح الصحة ظاهرة في صفحات هذا المتن.

(٤) رواه الحكيم الترمذي وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٣ / ٢٩٥.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابرأ عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين في العرب : هاشم وزهرة»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ بفتح الفاء وقال : «أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن قريشاً «أي المسعدة بالإسلام» كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم ﷺ بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه. قال رسول الله ﷺ : «فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، فلم يزل ينقلني من الأصباب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال - كما رواه أبو عمر العدني - : «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني في الأصباب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ثم

(١) رواه ابن عساکر : ٣٤٦/١. والسيوطي في الدر المنثور : ٢٩٥/٣. وصاحب كنز العمال برقم ٣٢٠١٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثانى ص ٢٧٧، ٢٧٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثانى ص ٢٧٨.

وذكره القاضي عياض في الشفا : ٢٥٨/١.

أخرجني بين أبي لم يلتقيا على سفاح قط».

وإلى هذا المعنى أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ بقوله في مدح النبي ﷺ:

مَنْ قَبْلِهَا طَبَتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي
تُمْ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ
بَلْ نُظْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ
تَمْ أَحْتَوِي بَيْتَكَ الْمَهِيمُنُ مِنْ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ
يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبِيًّا
مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ
أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
خُنْدُفٍ عَلَيْهِ تَحْتَهَا النُّطُقُ
ضُ وَضَاءُتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتِرُ
لِعَصْمَةِ النَّارِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وكتب الإمام العلامة الفقيه نور الدين القاري في شرح الشفا فقال:

قوله: «من قبلها» أي من قبل الدنيا أو الولادة، وقيل من قبل نزولك الأرض.

«طبت في الظلال» أي في ظلال الجنة، وفي رواية طبت في الجنان.

«وفي مستودع حيث يخصف الورق» أي طببت في مستودع من صلب آدم، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَوَظِفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾.

وقوله: «ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق» أي: من الجنة إلى الدنيا في صلب آدم، والحال أنك لم تكن حينئذ واحداً منها أي من المضغة والعلق.

«بل نطفة تركب السفين» أي بل نزلت وأنت في صلب آدم نطفة ثم صرت إلى نوح حال كونك تركب السفينة.

«تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق» أي: إذا ذهب قرن ظهر قرن.

«ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق» أي: ثم احتوى بيتك الشاهد من خندف، والمراد به امرأة إلياس بن مضر سميت بها القبيلة، واسمها ليلى وهي القضاعية أم عرب الحجاز. وقوله: «علياء» أي: منزلة علياء، «تحتها النطق» وهي التي يشد بها أوساط الناس، ضربه مثلاً له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته، وجعلهم تحته بمنزله أوساط الجبال، وأراد ببيته شرفه في عشيرته أو نفسه في حد ذاته.

وبعد أن شرحها قال: رواه أبو بكر الشافعي والطبراني عن خريم ابن أوس بن حارثة وذكر هذه الأبيات في الغيلانيات بسنده إلى خريم، بضم الخاء المعجمة وفتح الراء. قال العباس: هاجرت إلى رسول الله، فقلت: إني أريد أن أمتدحك. فقال له رسول الله ﷺ: «قل لا يفضض الله فاك» فأنشد العباس يقول: فذكر سبعة أبيات آخرها «فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق». وكذا قال ابن عبد البر في استيعابه في خريم، وذكر ابن قيم الجوزية في كتاب: هدى النبي ﷺ في غزوة تبوك، نحوه وزاد

بعضهم بيتاً آخر وجد بخط أبي علي الغساني وهو :

يا برد نار الخليل ياسيبا لعصمة النار وهي تحترق^(١)

ويؤيد هذا المعنى قوله تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾^(٢) فكل الناس متفرعون من نفس واحدة مع ما بينهم من تفاوت في الصفات والخصائص والملكات والمواهب.

وظلت موروثات الناس تنتقل بقدرة الله تعالى من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات حتى الوقت المحدد لبروزهم وظهورهم إلى الحياة ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فالإنسان قبل أن يكون مجسماً بأعضائه وصفاته كان صيغة كروموزومية وموروثية معينة، فهو - كما يقول الأطباء والعلماء المختصون - ست وأربعون كروموزوماً تحتوي على عدد كبير من الموروثات - الجينات - تتوزع عليها بصيغة تختلف من إنسان إلى إنسان آخر، وهذه الكروموزومات والموروثات وجدت كلها في آدم عليه السلام، ثم أخذت تتوزع في ذريته.

وتصور المسألة بسيط، إن قرص الهاتف يحتوى على عشرة أرقام فقط، نستطيع بإدارتها بترتيب مختلف أن نكلم من نشاء في أرجاء المعمورة، وأرقام هواتف العالم كلها موجودة في هذا القرص^(٣).

فكل إنسان تنقل من أصلاب آبائه إلى أرحام أمهاته من لدن آدم عليه السلام حتى الوقت المحدد لبروزه إلى الحياة، إنها رحلة طويلة وطويلة

(١) انظر شرح الشفا في شمائل صاحب الاضطفا للقاري ٣١٩/٢.

(٢) الأنعام ٩٨ .

(٣) القرار المكين صفحة ٢٥٨ .

جداً، ولكنها مقدرة ومعلومة في كل مراحلها وأطوارها وحركاتها، إنها رحلة مبرمجة بدقة من قبل الله العلي الحكيم الذي قال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون معاني هذه الآيات، فالفقه: الفهم واستعمال الفطنة وتدقيق النظر^(١).

ويقوي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٢).

ووضّحه النبي الله ، فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فتثراها بين يديه، ثم كلمهم قبلا قال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى. شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا: ... إلى قوله: المبطلون»^(٣).

هذا هو أصل هذا النبي الكريم ﷺ الذي تنقل في هذه الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الزكية، إلى أن ولدته أمه آمنة بعد زواج من أبيه عبد الله بن عبد المطلب لاسفاح فيه، فلننظر في هذا الزواج المبارك، وفي هذا يقول الشاعر الدكتور محمد سلمان فرج في طهارة آبائه واصطفاء الله لهم في الأزل:

آباء طه إلى المعصوم آدمهم فازوا بنص خيار حين من علل
وفي تقلبك الآيات ناطقة بأعظم المدح فاهناً في الملا الأول

(١) انظر كتاب الحق في سورة الانعام.

(٢) الأعراف الأيتان (١٧٢ - ١٧٣).

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٧٢ (٤٥١) ٢.

ويقول شاعر آخر:

سَيِّدٌ مِنْ خَيْرِ سَادَاتِ سَرَى
سَاجِدٌ مِنْ سَاجِدِ أَخْبَرْنَا
مُنْذُ أَهْدَى آدَمَ غَرَّتَهُ
ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ جَدَّ الْأَنْبِيَاءِ
قَبْسَةٌ مِنْ نُورِ رَبِّي أَشْرَقَتْ
قَدْ نَمَاهُ سَاجِدٌ مِنْ سَاجِدِ
أُمِّهِ أَزْكَى وَعَاءٍ ضَمَّهُ
كُلَّهُمْ هَادٍ حَنِيفٌ مُؤْمِنٌ
خَيْرَةٌ مِنْ خَيْرَةٍ مِنْ خَيْرَةِ خَيْرَةٍ

ويقول الإمام الدميري في ذلك

أَبَاؤُهُ قَدْ طَهَّرَتْ أَنْسَابَا
نِكَاحُهُمْ مِثْلُ نِكَاحِ الْإِسْلَامِ
وَمَنْ أَبِي أَوْشَكٌ فِي هَذَا كَفَرُ
نَقَلَ ذَا الْحَافِظُ قُطْبَ الدِّينِ

ويقول الامام النبھاني أيضاً:

مَنْ سَيِّدٌ لِسَيِّدٍ يَتَّقِلُ
يَرَاهُ مَنْ يَغْفَلُ أَوْ لَا يَغْفَلُ
كَكَوْكَبٍ قَدْ حَلَّ بُرْجَ سَعْدِ

ويقول الإمام الشهرستاني في «الملل والنحل»:

ظهر نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيا الأمور، وببركة هذا النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة - إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة - فقيل لعبد المطلب في ذلك - ففكر في ذكاء فقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته، وببركة ذلك النور قال لأبرهة (يوم الفيل) إن لهذا البيت رباً يحميه - وكذلك قال - وقد سعد أبا قيس ينادي المولى سبحانه وتعالى ويطلب النصر.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قال: فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وكذلك ما أخرجه أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي قال: قالت سارة لما بشرتها الملائكة: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَئِي أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(١)، فقالت الملائكة ترد على سارة: ﴿قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٢)، قال: فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾^(٣)، فسيدنا محمدٌ من عقب إبراهيم عليه السلام داخل في ذلك.

وقد قال البرزنجي في سداد الدين (بتصرف) في شأن والدي النبي

(١) هود/ ٧٢.

(٢) هود/ ٧٣.

(٣) الأعراف/ ٢٨.

صلى الله عليه وآله وسلم : إنهما كانا على دين إبراهيم عليه السلام وهذا الوجه عام في جميع آبائه إلى إسماعيل عليه السلام ، والدليل على ذلك أن إبراهيم وإسماعيل - صلى الله عليهما وعلى نبينا وآله وسلم - لما بنيا البيت دعوا بدعوات من جملتها : ﴿رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(١) ، وأخرج ابن جرير في تفسير الآية - قال : استجاب الله له وجعل البلد آمناً ورزق أهله من الطيبات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم عبادة الله .

وإذا وجد من ذكر في كل زمان فلا بد أن يكونوا آباءه صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم الخيرة بالنص في كل عصر ولو لم يكونوا كذلك لكان غيرهم أخير منهم .

ويقول الدكتور محمد جمعة سالم في تقديمه لكتاب الوفاء يقول تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فهذه الآية محكمة المعنى قطعية الدلالة في نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد مات أبوه وهو في بطن أمه ، ومات أمه وهو ابن ست سنين ، ولم يؤثر عنهما سجد للأصنام أو ارتكاب الآثام بل كانا على الحنيفية التي كان عليها بعض أهل الفترة كما قال العلماء ، ولذلك فكل حديث شريف معارض لذلك في ظاهره ، إما أن يكون منسوخاً أو يحتمل التأويل الصحيح الذي يتفق مع الآية لأنها يقينية الثبوت قطعية الدلالة ولكن الحديث ظني الدلالة ظني الثبوت فيجب العمل بهذا المنهج كما بين ذلك علماء الأصول والراسخون في العلم .

ومما يدل على ذلك اصطفاء الله تعالى لآبائه صلى الله عليه

(١) البقرة / ١٢٨ .

وآله وسلم واختيارهم ليكونوا أطهر الناس وأفضلهم فى كل قرن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم» رواه أحمد ومسلم والترمذي وجاء في رواية الطبراني والبيهقي وأبى نعيم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأنا من خيار إلى خيار»، وصرح ﷺ أيضاً بفضل أبيه وأنه خير الآباء كما جاء في دلائل النبوة للبيهقي من رواية أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

ويقول الشيخ عبد المنعم فرج: إن قضية نجاة والدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قضية هامة شغلت الباحثين من العلماء والمفكرين، فتناولها بالبحث والدراسة والتحقيق أئمة كبار لا يجهل قدرهم ولا ينكر فضلهم بين أوساط العلماء العاملين، وهؤلاء العلماء المحققون والنظار المدققون ذهبوا إلى نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقد حرروا في ذلك المصنفات وأفتوا بنجاة الأبوين الشريفين مؤصلين الفتوى على الكتاب والسنة والأقوال المعتمدة عند أهل العلم والملتزمين جانب الأدب والتوقير للجناب النبوي الشريف الذي أمر الله سبحانه بتعظيمه وتوقيره في كل ما يتعلق بشخصية الطاهر المبارك العظيم - وقد استدل العلماء على نجاة الوالدين الشريفين بأدلة كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصطفى

مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»^(١)، مما يدل على أن الوالدين الشريفين ليسا من المشركين وكذلك استدلل العلماء على نجاتهما بأنهما من أهل الفترة وهي المدة التي تقع بين رسولين لم يدرك السابق منهما ولم يعاصر اللاحق، فوالداه الكريمان لم يدركا أي رسالة ولم يرفضوا الإيمان بل كانا على الفطرة الحنيفية السمحة وللعلماء في هذه صولات وجولات، وقد بلغت المؤلفات في نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مبلغاً عظيماً.

ومن الأعلام الذين كتبوا في ثنايا مؤلفاتهم حول هذا الموضوع وقضوا بنجاة الأبوين الكريمين:

ابن العربي المالكي وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدين الدمشقي والفخر الرازي والسبكي والقرطبي والآبي والمحلب الطبري وابن حجر الهيثمي وابن حجر العسقلاني وحافظ الدين الحنفي والبرزنجي والنبهاني والشيخ محمد زكي إبراهيم والإمام الجعفري وغيرهم كثير.

وكل من خالف في هذه إنما يستند إلى حديث ظني معارض بحديث آخر بل معارض بالدليل القرآني القطعي.

وهذا الحديث المردود من رواية حماد بن سلمة لعله رواه بما فهمه لا ماسمعه لأن حماداً رواه عن ثابت والحديث الذي يعارض مروياً أيضاً عن ثابت رواه معمر بن راشد. وليس فيه قول: «أبي وأبوك في النار»^(٢) وإنما فيه: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» مع أنهما رويا عن شيخ

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤ و ٥/ ٩٨.

(٢) لاجابة لرد الحديث فتأويله صحيح يعني أبا طالب لأن العرب تدعو العم أبا.

واحد ولا أدري لماذا يتمسكون برواية تخالف القرآن ويهملون التي لا تعارضه، هذا ومعمر أثبت من حيث الرواية بينما يقولون عن حماد إن في أحاديثه مناكير.

وروى ابن ماجة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنَّ أبي كان يصل الرحم، وكان، فأين هو؟ قال: « في النار ». قال: فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ فقال رسول الله ﷺ: « حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار » قال: فأسلم الإعرابي بعد، وقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبا. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار^(١).

وهذا الحديث الذي رواه الزهري عن سالم عن أبيه يؤيد بقوة رواية معمر بن ثابت لاسيما وأنه قد ذكر في الزوائد أن حديث الزهري هذا صحيح الإسناد.

ثم إن قول النبي ﷺ: « مهما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »، فينبغي أن يحمل على ما بعد البعثة، وإذا حمل على ما قبل البعثة فيدخل فيه من كان على منهج عمرو بن لحي الذي أدخل عبادة الأصنام. وشرع للعرب مالم يأذن به الله، فبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحامي وعمرو بن لحي كان معانداً في ابتداعه وحمله الناس على عبادة الأصنام.

أما من عاش من أهل الفترة، غير معاند ولا مبدل، ومات على ذلك، فلا يمكن أن يحكم عليه بالنار، لاسيما أن كثيراً من الآيات قد تظاهرت على إيمان أهل مكة بالله، ومنهم آباء رسول الله ﷺ: ونذكر

(١) سنن ابن ماجة باب زيارة قبور المشركين: ١/ ٥٠١ (١٥٧٣).

على الخصوص جده عبد المطلب في مواقفه الكريمة، ومقالته الشهيرة : إن للبيت رباً يحميه. وأخص من ذلك تسميته لابنه الحبيب « عبد الله » . ولا شك أن « عبد الله » والد الرسول ﷺ كان على ملة أبيه عبد المطلب، وكذلك والدته آمنة.

ومن الآيات التي تدل على إيمان أهل مكة بالله رباً خالقاً للكون قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١). بل تدل بعض الآيات على علمهم ببعض صفات الله العلا كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣)

وكذلك جاءت الآيات دالة على أن أهل مكة كانوا يؤمنون بأن الله هو المدبر للكون كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (٤). ولا شك أن إيمانهم هذا استمرار لما تبقى من الحنيفية ملة إبراهيم.

ثم إن هناك آيات متعددة في نجاة أهل الفترة من عذاب الآخرة كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَ الْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتَهَا لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٥).

(١) لقمان / ٢٥ والزمر / ٣٨.

(٢) الزخرف / ٩.

(٣) العنكبوت / ٦١.

(٤) العنكبوت / ٦٣.

(٥) الملك / ٨.

وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (١).

فهاتان الآيتان تدلان على انتفاء عذاب الآخرة بالخصوص على من عاش بالفترة ولم تبلغه رسالة، وان دخول من يدخل النار كان بعصيانهم بعد إرسال الرسل.

وقد ورد في أهل الفترة أحاديث كثيرة منها:

ماروي عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل هلك في الفترة» (٢).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود، والمعتهو ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني».

(١) الزمر / ٧١.

(٢) رواه الامام أحمد في المسند: ٤ / ٢٤٠.

الزَّوْجُ الْمُبَارَكُ

الفهرس

اختار عبد المطلب وهو شيخ قريش وأعلمها بأنسابها عروساً لابنه فتاةً من من بني زهرة، هي السيدة آمنة بنت وهب، وهي أكرم فتاة في قريش، إذ هي من بني زهرة بن كلاب شقيق قصي، وهما أشرف أصول قريش، وأبوها وهب بن عبد مناف سيد زهرة شرفاً وحسباً، وأمها من بني عبد الدار، فهي من صفوة قريش أباً وأمماً.. فأما الزوج فهو ابنه عبد الله بن عبد المطلب، فهما صفوة الصفوة من قريش كما مر معنا في قول الرسول ﷺ «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»^(١).

وربما كانت العروس ترنو من بعيد بروحها وقلبها إلى ابن عمها عبد الله بن عبد المطلب، أجمل فتیان قريش وأكرمهم، ومن البديهي أن يخفق قلبها خوفاً ويمتلئ الصدر شجناً حين ملأ النبا أرجاء مكة بأن عبد المطلب سيفي بنذره ويذبح أحب أبنائه إليه. ثم كان الفداء، وكانت نجاة عبد الله من الذبح، وضجت مكة المكرمة فرحاً بالنبأ السعيد، وامتلاً قلب آمنة بالرضا والسعادة.

وما إن فرغ عبد المطلب من نحر الإبل حتى توجه مع جماعة من وجوه بني هاشم إلى بيت سيد بني زهرة وهب بن عبد مناف، وإلى يمينه ولده الغالي عبد الله وتساءلت آمنة: فيم مجئ وفد بني هاشم؟ ودخلت أمها برة لتزف إليها النباً ودخل أبوها وهب ليقول

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٩/١.

في رقة : إن شيخ بني هاشم قد جاء ليطلبك زوجة لابنه عبد الله، وعاد من فوره إلى ضيفه الكريم ، وترك آمنة في سرور بالغ وحبور تاهت به الدنيا جذلاً.

إذن لقد اختارها رب العالمين لتكون زوجاً لفتى بني هاشم الذي امتلاً وجدان أهل مكة حباً له وتعلقاً به، وها هو ذا القلب الطاهر يخفق عالياً من أثر المفاجأة التي حققت حلمها بسرعة لم تكن تتوقعها، وأراحت صدرها على صدر أمها برة لتستمد السكينة من حنانها.

وتسامعت مكة المكرمة بهذه الأنباء، فاستعدت للاحتفال بزفاف العروسين النبيلين أفضل فتى في قريش ومكة المكرمة، إلى أطهر وأكرم فتاة في الدنيا، وأضيئت المشاعل في أرجاء الحرم الآمن، وحفلت دار الندوة بوجوه قريش وساداتها، واستمرت الأفراح ثلاثة أيام بلياليها، وانتقلت إلى دار زوجها الحبيب، دار بسيطة لكنها مع الحبيب أجمل من قصور الدنيا كلها.^(١)

وروى عن عبد المطلب أنه قال: خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور، فقال: يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعض جسدك؟ قلت: نعم ما لم يكن عورة. فنظر في منخري فقال: أجد في أحد منخريك مُلْكَاً وفي الآخر نبوة، فهل لك من شاعة؟ قلت وما الشاعة؟ قال: الزوجة قلت أما:

(١) إنها فاطمة الزهراء صفححة ٤٤ .

اليوم فلا. قال : فإذا قدمت مكة فتزوج. فقدم عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فولدت له حمزة وصفية. ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب، فولدت رسول الله ﷺ. فكانت قريش تقول: فلج^(١) عبد الله على أبيه.

وفي رواية أخرى أنه قال: وفي الآخر نبوة وإنما نجد ذلك في بني زهرة فإذا رجعت فتزوج فيهم^(٢).

ومع شرف نسبها كانت على خلق وتواضع، دل على ذلك وصفه ﷺ لها، ففي الحديث عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل، فكلمه فجعل ترعد فرائضه^(٣)، فقال له: « هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(٤) وهو اللحم المجفف، وهذا تواضع منه ﷺ مبينا تواضع أمه ومكانتها.

هذا هو الزوج، وهذه هي الزوجة، وقد تم الزواج الذي ظل النبي ﷺ يذكره متواضعاً ومبيناً منزلة أمه ومكانتها وشرف نسبه إليها بأنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، فهو تراه ينتسب لأمه تارة، وأخرى ينتسب لجدته مبينا فضله ومكانته، كما جاء معنا يوم كان يقول: « أنا ابن الفواطم والعواتك^(٥)».

(١) فلج أي فاز.

(٢) الوفا باحوال المصطفى صفحة ١ / ٨٥ وأخرجه أيضاً الحاكم والبيهقي والطبراني وأبو نعيم.

(٣) أي تهتز عضلات صدره.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة / ٣٠.

(٥) ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة بن عاصم ورمز له برمز الصحة فهو حديث صحيح،

التيسير للمناوي : ١ / ٣٧٥.

«أنا محمد بن عبد الله الخ.. وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً»^(١).
وأخرى كان يقول - وقد أقدم في المعركة^(٢) - : «أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب»^(٣).

نسب لجدده لا لأبيه لشهرته به وللتعريف والتذكير فيما أخبرهم به الكهنة قبل ميلاده، وأنه يظهر من بني عبد المطلب نبي، فذكرهم بأنه ذلك المقول عنه لا للفخر ولا للعصية^(٤).

وقد قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»^(٥).

(١) البيهقي في الدلائل عن أنس ورواه الحاكم.

(٢) وذلك في معركة حنين.

(٣) أورده البخاري في المغازي برقم ٥٤، والجهاد برقم ٥٢، وذكره الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح

(٤) مسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب.

(٥) مسند الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد وقال حديث حسن .

بَشَائِرُ الْحَمْلِ الْمُبَارَكِ

الفهرس

وحملت السيدة آمنة بنت وهب الزهرية أكرم جنين خلقه الله تعالى، وعندما حملت توالى عليها البشائر تبشرها بفضل الله تعالى عليها بالكرامة العظيمة التي أكرمها الله بها، وهي أن الله سبحانه وتعالى اختارها لتكون أمّاً لرسول الله ﷺ.

وروى ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمه، والبيهقي عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال: كنا أن كنا نسمع رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرت أني حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء، إلا أنني أنكرت رفع حيضتي، وربما ترفع عني وتعود، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنك حملت؟ فأقول ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونيها، وذلك يوم الإثنين، وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وضع فسميه محمداً، قالت: فكان ذلك مما يقنّ عندي الحمل، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك فقال قولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سميّه « محمداً » ورأى جده مثل هذه الرؤيا، فوافق جده حين أخبرته. ^(١) قالت: فكنت أقول ذلك، فذكرته لنسائي فقلن: تعلقي عليك حديثاً وفي عضديك وفي عنقك، ففعلت فلم يكن يترك علي إلا أياماً فأجده قد قطع، فكنت لا أتعلقه.

(١) كما روى ابن إسحاق، انظر ابن هشام: ١٨٠ / ١.

وروى البيهقي عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال : أمرت آمنة وهي حبلى برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد.

وروى الحاكم وصححه والبيهقي عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»^(١) وهذه رؤيا منامية.

وروى ابن سعد ورجاله ثقات قال ﷺ : « رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور فضاءت له قصور بصرى » وهذه رؤية بصرية.

وقال الشيخ الصالح الشامي مؤلف سبل الهدى والرشاد رحمه الله تعالى قوله (حين حملت به) هي رؤيا منام وقعت في الحمل، وأما ليلة المولد فرأت ذلك رؤية عين كما سيأتي^(٢).

وأخرج أحمد والبخاري والطبراني والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك : إني دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين، وإن أم رسول الله حين وضعت نوراً أضاء له قصور الشام»^(٣).

والحقيقة أن من ينظر بعمق في مسألة ولادة السيدة آمنة يجد أن ذلك قد حصل بعد يوم الفيل، أو في عام الفيل، وأنها جاءها المخاض في فجر يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، ولم تكن معها غير جارتها، وشعرت

(١) أخرجه ابن عساكر في التاريخ : ١/ ٣٩. الدر المنثور : ١/ ١٣٩، والتيسير ١/ ٣٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صفحة ١/ ٣٢٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١٢٧ و ١٢٨، والحاكم في المستدرک : ٢/ ٦٠٠.

بنور يغمرها، وشعرت كأنما أحيطت بمجموعة من النساء بعثن الله تعالى ليؤنسن وحشتها.

وجاءت في قضية الولادة روايات عدة عن سقوط بعض أجزاء من إيوان كسرى، وحمود نار فارس، وكيف ذكر بعض كهان اليهود لقومه عن بشائر ولادته ﷺ كما سيأتي معنا.

(وأسند الحافظ ابن سيد الناس اليعمري من طريق أبي بكر الخرائطي بسنده عن مخزوم بن هانيء المخزومي عن أبيه، وأتت له خمسون ومائة سنة، قال: «لما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ، أرتج إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها».

فذكر لهم سطيح الكاهن فطلبوه على مشارف الشام، فعبر الرؤيا بدلائل المبعث وقضى مكانه.

وروى الحافظ ابن حجر الطرف الأول من حديث هانيء المخزومي في ترجمته بالإصابة من طريق ابن السكن بمثل إسناد الخرائطي.

وذكر «ياقوت» في (ساوة) حديث سطيح الكاهن في أعلام النبوة. (١)

وما أن وضعت السيدة آمنة حتى بعثت إلى جده تبشره، وقيل إنه كان في غار حراء يتحنث، فجاء وأخذه إلى الكعبة ودعا له، وطاف به الكعبة وهو يحمد الله:

(١) تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص ١٣٥، دار البيان للتراث الطبعة الأولى.

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهدي على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان أعينه من شر ذي شأن
من حاسد مضطرب العنان

وهناك نقطة مهمة أود لفت النظر إليها وهي أننا عندما نقرأ سيرة المولد النبوي الشريف ونحتفي به إنما نقف احتراماً للحظة الولادة، وقد ذكر ابن حجر في الفتاوى الحديثية وجوب القيام.

والخلاصة أن كثيراً من الناس يجهلون لماذا يقف من يحتفون بالسيرة النبوية ويقرؤون سيرة مولد رسول الله ﷺ، فعندما تأتي اللحظة الخاصة بلحظة الولادة إنما يقفون احتراماً لهذه اللحظة، وتقديراً لمولد رسول الله ﷺ، وليس لأنه يدخل في تلك اللحظة، ولا يجوز أن يكذب أحد على رسول الله، فيقول دخل في تلك اللحظة وهو لم يره ولم يشاهده، وإنما من الواجب أن يعرف الجميع أن الوقوف هو احترام وتقدير للحظة الولادة التي أشرق فيها هذا النور على العالمين.

وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قدر لرسول الله ﷺ أن يعيش يتيماً ليتولى الله تبارك وتعالى رعايته وحده كما في قوله الكريم: ﴿الَّذِي جَدَّدَكَ بِتِيمَا قَاوِي﴾^(١)، أي ألم يعلمك الله يتيماً حين مات أبوك، ولم يخلف لك مالاً ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، فأواك إلى جدك عبد المطلب ثم إلى عمك أبي طالب وكفاك المؤونة.

ف (يجدك) من الوجود الذي هو معنى العلم، وقيل لجعفر هو من قولهم درة يتيمة، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فأواك إليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك لرسالته.^(٢)

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٣)

وفي رواية عند ابن عساكر عن عبد الرحمن بن محمد الزهري عن أبيه عن جده «أدبني ربي ونشأت في بني سعد»^(٤).

نقل أبو حيان في تفسيره البحر وغيره عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه قال: إنما يتم رسول الله ﷺ ليكون المرابي له والموجه والمهذب واحداً هو الله، وحتى يعرف فضل اليتامى، فسيد الوجود يتيم.

(١) سورة الضحى، الآية: ٦.

(٢) تفسير سورة الضحى.

(٣) رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود.

(٤) جامع الأحاديث للسيوطي ١/ ١٧٠.

وأيضاً لينظر ﷺ إذا وصل إلى مدارج عزه إلى أوائل أمره ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى، وأن قوته ليست من الآباء والأمهات ولا من المال، بل قوته من الله تعالى، وأيضاً ليرحم الفقير والأيتام.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي، وأم رسول الله ﷺ حاملة به.

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة رحمهما الله تعالى قالاً: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة، وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة^(١).

هكذا فجعت السيدة آمنة بوفاة زوجها الحبيب، فما أشد الفراق على قلبها وما أقسى ما كانت تعانيه من الشجن الحارق المتغلغل في حناياها، لقد مضى وانتقل إلى الدار الآخرة وسلك سبيل الذين مضوا قبله فبكته آمنة بدموع حرى ورثته بهذه الأبيات:

عفا جانبُ البطحاءِ من زينِ هاشمٍ وجاورَ لحداً خارجاً في الغمامِ
دَعَتْهُ المَنايَا بَعْتَةً فَأَجابَها وماتَ رَكَتِ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هاشِمِ

(١) سبل الهدى والرشاد ١/ ٣٣١.

عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ يُعَاوِرُهُ أَصْحَابُهُ فِي التَّرَاحِمِ
فَإِنْ يَكُ غَالَتُهُ الْمَنَايَا وَرِييَهَا فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءَ كَثِيرِ التَّرَاحِمِ^(١)

رحل الغالي وخلف لوعة وحرقة تاركاً أرملة شابة لا يزال خضاب العرس في يديها، لم يمتع زين الشباب بشبابه، ولم يهنأ مع عروسه إلا أياماً ، لكن رحمة الله ورأفته بعباده أنزلت السكينة على قلب آمنة التي روعت بنار الفراق، فكانت تأنس لما تسمع من هتاف يبشرها بأعظم بشرى^(٢).

وهكذا فارقت الحبيب والرفيق وامثلت لأمر الله تعالى، وعكفت تربي هذا الطفل الكريم الطيب الأردن الذي اختاره الله ليكون سيد الأكوان.

(١) سبل الهدى والرشاد ١/ ٣٣٢.

(٢) إنها فاطمة الزهراء، للمؤلف ص ٤٥ .

وأبت الأقدار التي تعلو بحكمتها على مدارك العقول

على عبد الله الذبيح

أن يرجع من سفرته ليشهد آمنة الزوجة الحبيبة

وقد تنفس حملها عن أكرم مولود

يشهد الحياة أول ما يشهدا يتيماً

* * *

وهكذا مات عبد الله بن عبد المطلب في هذه الرحلة

وهو عائد من الشام ماراً بأخوال أبيه عبد المطلب

بني عدي بن النجار

وهكذا دفن عبد الله أبو الرسول ﷺ

بيثرب مدينة الأسرار والأنوار،

ومأوى المهاجرين والأنصار

ومهبط الوحي ومنزل الأحرار

ومثوى الكملة الأبرار

* * *

ولأمر ما كانت المدينة المنورة مرقد عبد الله

أبي محمد رسول الله ﷺ

قبل أن يشهد الوجود طلعة محمد بن عبد الله ﷺ

ولأمر ما كانت من بعده مشوى محمد ﷺ
ولله تعالى حكمة فوق مدارك العقول والأفهام (١)



(دارالتابعة من بني النجار)

* * *

هنا وقف رسول الله ﷺ بعد هجرته

وقال يذكر زيارته لدار أخواله بني عدي بن النجار :

((كنت ألاعب أنيسة ، جارية من الأنصار على الأطم وكنت مع غلمان

من أخوالي نُطَيْرُ طائراً كان يقع عليه))

ونظر إلى الدار وقال :

((هنا نزلت أُمي ... وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب

وأحسنتم العوم في بئر عدي بن النجار))

(١) محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون

الفهرس زَمَنُ وِلَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِرْهَاصَاتُهُ

لاشك أن هناك معجزات ومبشرات ودلائل على أن النبي ﷺ سوف يولد، وعلى عظم شأنه ورفعة منزلته، و كانت هناك ما تسمى بالإرهاصات، الإرهاص: ما يظهر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا .

والإرهاصات : هي المقدمات والعلامات المؤذنة بقرب حدوث الأمر قبل وقوعه فعلياً.

والإرهاص أيضاً إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.

وقالوا في الإرهاص أيضاً: هو ما يصدر من النبي ﷺ من أمر خارق للعادة، قيل: إنها من قبيل الكرامات فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء^(١).

وكانت حادثة الفيل الإرهاص الكبير لمولده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج الترمذي في سننه عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قال: « ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ».

(١) التعريفات للجرجاني.

وقد أنزل الله بعد ذلك في القرآن الكريم سورة الفيل التي قال فيها:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۗ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۗ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۗ ٣ تَزِمِيهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ ۗ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلَ ۗ ٥ ﴾

ففي العام الذي ولد فيه النبي ﷺ أهلك الله أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم بيته الحرام، ثم أنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ أي ألم تعلم وتخبر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ والاستفهام للتقرير والتعظيم لما حدث والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ويراد به العموم، ومعناه قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم.

وقصة أصحاب الفيل كانت إرهاباً وتوطئة لمولده ﷺ، ولما نزلت هذه السورة وتلاها عليهم النبي ﷺ كان في المشركين من أهل مكة عدد كبير ممن أدرك أحداثها.

فالمراد تذكيرهم بما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزته وحماية بيته، وتعظيم حرمة، وتعجيب من كفر المشركين الذين شاهدوا هذه العظمة من آيات الله تعالى، كما أن فيها تثبيتاً للنبي ﷺ وهو يواجه أذى المشركين وعنادهم، فعنايته تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام، وعنايته بيته الحرام أقوى وأتم من عنايته بأي كائن آخر، فكانه تعالى قال: أنا الذي فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيماً لك وحماية للبيت الحرام وتشريفاً لقدمك، وإذ قد نصرتك قبل قدمك فكيف أتركك بعد ظهورك؟

وقصة أصحاب الفيل باختصار أن أبرهة الحبشي الذي كان يحكم اليمن في ذلك الوقت بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، ليصرف

إليها الحجاج عن بيت الله الحرام، فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلاً، أي تغوط فيها، فأغضب أبرهة ذلك وحلف ليهدم الكعبة، وخرج بجيش كبير ومعه فيل قوي، ولما وصل إلى أول أرض الحرم تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل فبرك ولم يتزحزح، وكانوا يقيمونه ويوجهونه لكل جهة فيتوجه إلا جهة الكعبة، ثم أرسل الله طيراً تحمل حجارة من سجيل فرمتهم بها فهلكوا جميعاً، وكان لموت أبرهة أشنع صورة وأقبح منظر.

وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ لما كان في الحديبية بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال للناس: حل حل، فألحت فقالوا: خلأت القصواء - أي حرنت - فقال النبي ﷺ: « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون بها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت »^(١).

﴿الْمُيَجَّلُ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي ألم يجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة المشرفة في تضييع وإبطال، فلم يصلوا إلى ما أرادوا بل رجع كيدهم عليهم وهلكوا.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي جماعات جماعات من ههنا وههنا.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ﴾ أي من طين متحجر فهي كالحجارة التي أنزلها الله على قوم لوط عندما أهلكتهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنصُودٍ﴾^(٢).

(١) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب: ٢٧٣١.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٢.

﴿جَعَلَهُمْ كَعْصَفٍ مَّاكُولٍ﴾ أي جعلهم كتبن أكلته الدواب ثم راثته، شبه تعالى تقطع أجسادهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث.

قال ابن إسحاق يحدد تاريخ مولده الشريف عليه الصلاة والسلام: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل^(١).

وقال محقق السيرة: وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، فكان لعشرين مضت منه، وولد بالغفر^(٢) من المنازل، وهو مولد النبيين.

وولد بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة زوجة هارون الرشيد مسجداً حين حجت.

وهذا ما أكده ابن حجر رحمه الله بقوله: المشهور عند الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول وأنه بعث في شهر رمضان، فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف، فمن قال أربعون ألغى الكسر أو جبر، لكن قال المسعودي وابن عبد البر: إنه بعث في شهر ربيع الأول، فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ١/١٤٦ .

(٢) مطلع الغفر في الربيع والغفر منزلة من المنازل الفلكية.

(٣) فتح الباري ٦/٥٧٠ .

ولكن يلاحظ - كما ورد في حديث بدء الوحي في البخاري - أنه
بدئ بالرؤيا الصالحة مدة ستة أشهر. ولهذا قال ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء
من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ومدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، منها
نصف سنة بالرؤيا وهي تساوي ٤٦ / ١ من مدة الوحي.

وهكذا نرى أنه ﷺ ولد له يوم الاثنين، وبعث يوم الإثنين، وتوفي يوم
الاثنين عليه أفضل الصلاة والسلام.



آيات ومُعجزات

ظهرت آيات كثيرة عند مولده ﷺ تدل على نبوته ورسالته.

قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا: ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه، وما حكاها من حضره من العجائب، وكونه رافعاً رأسه عندما وضعتة شاخصاً ببصره إلى السماء^(١)، وما رأته أمه من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رؤيت منه قصور بصرى، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص الثقفي من تدلي النجوم، وظهور النور عند ولادته حتى ما ننظر إلا النور، وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما نزل ﷺ على يدي فاستهل أي عطس فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم^(٢).

وروى ابن جرير في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم، كلاهما في الدلائل، والخرائطي عن مخزوم بن هانئ عن أبيه قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتج فيها إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلا صعاباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرابته حين عيل صبره، فجمعهم ولبس تاج ملكه وقعد على سريره، ثم بعث إليهم،

(١) رواه البيهقي عن الزهري مرسلًا.

(٢) رواه أبو نعيم في الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف، وانظر شرح الشفا ٤١٦/٣.

فلما اجتمعوا عنده قال : تدرون فيم بعثت؟ قالوا لا إلا أن تخبرنا بذلك،
فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس، فازداد غمماً إلى غمه،
ثم أخبرهم بما هاله، فقال الموبدان: وأنا أصلح الله الملك قد رأيت
في هذه الليلة، وقص عليهم رؤياه في الإبل، فقال: أي شيء يكون
هذا يا موبدان؟ وكان أعلمهم في أنفسهم، قال: حدث يكون من ناحية
العرب، فكتب كسرى عند ذلك: من ملك الملوك كسرى إلى النعمان
بن المنذر: أما بعد فوجه إلي عالمًا لما أريد أن أسأله عنه.

فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان بن قبيلة الغساني، فلما قدم
عليه قال: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألني الملك أو يخبرني
الملك، فإن كان عندي علم منه أخبرتك، وإلا دلتك على من يعلمه، قال:
فأخبره، فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح،
قال فاذهب إليه فاسأله وائتني بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتى
قدم على سطيح - وقد أشفى على الموت - فسلم عليه وحياه، فلم يحر
جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول: أصم أم يسمع غطريف اليمن ... في أبيات
ذكرها.

فلما سمع سطيح كلامه فتح عينيه ثم قال: عبد المسيح على
جمل مشيح، أقبل إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني
ساسان، لارتجاس الإيوان وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلاً
صعباً تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد
المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي سماوة،
وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام السطيح شاماً، يملك منهم ملوك
وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح
مكانه، فأتى عبد المسيح إلى كسرى فأخبره، فقال: إلى أن يملك منا

أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين،
وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال :

أبان مولده عن طيب عنصره	يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم	قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع	كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف	عليه والنهر ساه العين منسدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها	ورد واردها بالغيط حين ظمى
كأن بالنار ما بالماء من بلل	حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والأنوار ساطعة	والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلام البشائر لم	يسمع وبارقة الإنذار لم تشم
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم	بأن دينهم المعوج لن يقم
من بعد ما عاينوا بالأفق من شهب	منقضة فوق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الحق منهزم	من الشياطين يقفوا إثر منهزم

وقال رحمه الله أيضاً في قصيدته الهمزية : -

ومحيا كالشمس منك مضيء	أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للذ	ين سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بشرى الهواتف أن قد
وتداعى إيوان كسرى ولولا
وغدا كل بيت نار وفيه
وعيون للفرس غارت فهل
ولد المصطفى وحق الهناء^(١)
آية منك ما تداعى البناء
كربة من خمودها وبلاء
كان لنيرانهم بها إطفاء



(١) سبل الهدى والرشاد صفحة ٣٥٥/١.

كانت ولادتها له ﷺ يوم الاثنين بمكة المكرمة

ولد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة أن أعرابياً قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه أو أنزل علي فيه».

وروى الإمام أحمد: عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، واستنبت يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

وهذا ما لا خلاف فيه أنه ﷺ ولد يوم الإثنين.

ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل: ليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني.

وقيل لاثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبه في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالوا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر، وفيه مات.

وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم^(١).

ومن المعلوم أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/١٩٩.

الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، فكان لعشرين مضت منه .

وولد بالشعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت^(١).

ثم هدم وأصبح سوقاً، وهو سوق الليل، وهو شعب علي، قد بنيت فيه عمارة لطيفة - بناها على حسابه الخاص أمين العاصمة الأسبق الشيخ عباس بن يوسف القطان رحمه الله - وجعلها مكتبة عامة يتردد عليها العلماء^(٢).



(١) انظر هامش السيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٦ .

(٢) انظر كتاب: « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ».

سماه الله عز وجل في القرآن الكريم باسمين كريمين هما: محمد، وأحمد، قال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ﴾^(١)، وقال أيضاً في صدر السورة الكريمة التي سميت باسمه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ﴾^(٢) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۗ﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۗ﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۗ﴾^(٥).

وسياتي معنا في بشرى عيسى عليه السلام أن الله تعالى سماه أحمد، حكى ذلك عيسى عليه السلام عن رب العزة سبحانه.

وذكر النبي ﷺ في السنة الصحيحة أن له أسماء أخرى، ففي الحديث الشريف عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»^(٥).

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة محمد، الآيات: ١-٢.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٥) صحيح البخاري في المناقب رقم ٣٥٣٢.

أورد ذلك الإمام البخاري في صحيحه في باب خاص قال فيه : باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، وقول الله عز وجل في الفتح ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ، وقوله في سورة الصف على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ .

قال ابن حجر رحمه الله كأنه يشير إلى أن هذين الاسمين أشهر أسمائهم، وأشهرهما محمد، وقد تكرر في القرآن، وأما أحمد فذكر فيه حكاية عن قول عيسى عليه السلام، فأما محمد فمن باب التفعيل للمبالغة، وأما أحمد فمن باب التفضيل، وقيل سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ومعناه أحمد الحامدين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحمد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل الأنبياء حمادون وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضاً، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، وقد أخرج المصنف في التاريخ الصغير من طريق علي بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ فذو العرشِ محمود وهذا محمدٌ

والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدوح، قال الأعشى :

إِلَيْكَ أُبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجِيفُهَا إِلَى الْمَاجِدِ الْقُرْمِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ

أي الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة.

قال عياض : كان رسول الله ﷺ أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً

وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه.^(١)

ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بها، فكما شرفه الله تعالى بالأسماء الكريمة التي خصه بها، كذلك شرفه بما فيها من المعاني الطيبة السامية التي مر معنا ذكر بعض معانيها، وقد ورد أن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن، وإنما كانت أحب إلى الله لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله تعالى وما هو وصف للإنسان وواجب له وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها هذه الفضيلة، وسيأتي معنا أن الله تعالى سمى النبي ﷺ بذلك ووصفه بصفة العبودية في عدد من الآيات القرآنية الكريمة.

(١) فتح الباري ٦/٥٥٥.

كُنَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الفهرس

اشتهرت الكنى عند العرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب وغيرهما، ويكون للواحد كنية واحدة فأكثر، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعا، فالاسم والكنية واللقب يجمعها العلم بفتحتين، وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم والكنية ما صدرت بأب أو أم، وما عدا ذلك فهو اسم^(١).

وكان النبي ﷺ يكنى أبا القاسم لولده القاسم، وكان أكبر أولاده، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها.

وقد ولد له إبراهيم في المدينة المنورة من السيدة مارية القبطية كما سيأتي معنا.

وفي حديث أنس أن جبريل قال للنبي ﷺ: «السلام عليك يا أبا إبراهيم».

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم - يعني ينادي رجلا آخر كنيته أبو القاسم - فالتفت النبي ﷺ فقال الرجل: ما أردتك. فقال «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»^(٢).

(١) فتح الباري ٦/٥٦٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب: رقم ٣٥٣٧-٣٥٣٩.

وقد اختلف في جواز التكني بكنيته ﷺ، فالمشهور عن الشافعي
المنع على ظاهر هذه الأحاديث، فالنص واضح بالنهاي عن التكني
بكنيته ﷺ.



النبي صلى الله عليه وآله وسلم نخبة بني هاشم وخيارهم،
وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه
وأمه ...

قال القاضي عياض في الشفا: وأما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشؤه، فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا
خفي منه ، فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها، وأشرف
العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه ، وأمه، ومن أهل مكة، من أكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده^(١).

ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن
الذي كنت منه »^(٢) وعن العباس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن
الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرانهم، ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا
خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً »^(٣).

وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله اصطفى
من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة،
واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم،

(١) الشفا للقاضي عياض : ١ / ١٨٠ .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وحسنه .

واصطفاني من بني هاشم ^(١).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتسبب إلى جده عبد المطلب كما سيأتي معنا، وفي الحديث عن غزوة حنين عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول يوم حنين: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» ^(٢).

وسبب انتسابه عليه الصلاة والسلام إلى جده عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من الناس يدعونه: ابن عبد المطلب كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم على النبي ﷺ: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم ^(٣).

ويمتد نسبه الشريف ﷺ إلى النضر بن كنانة ففي الحديث عن كليب بن وائل قال حدثني ربيعة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة قال:

قلت لها: أرايت النبي ﷺ أكان من مضر؟ قالت فممن كان إلا من مضر، من بني النضر بن كنانة ^(٤).

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري في المغازي رقم ٤٣١٦.

(٣) فتح الباري ٣١/٨.

(٤) صحيح البخاري في المناقب رقم ٣٤٩١.

ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان، والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم فالأسماء والعدد مختلف فيه، وأما من النبي ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه.

قال ابن سعد في الطبقات : حدثنا هشام بن الكلبي قال: علمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ فقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهو شيبه الحمد، ابن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإليه جماع قريش .. ومضر بضم الميم وفتح المعجمة يقال سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر وهو الحامض، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حالة التسمية^(١).

فإلى النضر تنتهي أنساب قريش لما مر معنا في حديث وائلة بن الأسقع مرفوعاً « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم »^(٢).

(١) فتح الباري ٦/٥٢٩ .

(٢) رواه مسلم.

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه وقد ورثها عليه الصلاة والسلام عن أبيه، فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم، وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب، ثوية قبل حليلة السعدية.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الزهري عن عروة ابن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، وزاد مسلم: عزة بنت أبي سفيان فقال رسول الله ﷺ: «أو تحبين ذلك؟» قلت: نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: «فإن ذلك لا يحل لي» قالت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، وفي رواية: درة بنت أبي سلمة قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم، قال: «إنها لو لم تكن ربيتي في حجري لما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثوية، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن».

زاد البخاري: قال عروة: وثوية مولاة لأبي لهب، اعتقها فأرضعت رسول الله ﷺ.

فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة، فقالوا له: ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيراً، غير أنني سقيت في هذه بعثاتي ثوية، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع.

وذكر السهيلي وغيره: أن الرائي له هو أخوه العباس، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر، وفيه إن أبا لهب قال للعباس: إنه ليخفف علي في مثل يوم الإثنين، قالوا: لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها ساعته، فجوزي بذلك لذلك^(١).



(١) السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٢٤. سبل الهدى والرشاد: ١ / ٣٧٦.

رَضَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَنِي سَعْدِ

كانت قريش ترسل أطفالها وهم في سن الرضاع إلى القبائل من هذيل ليكتسبوا صحة في أبدانهم، وفصاحة في ألسنتهم، وقد ر الله تعالى للنبي عليه الصلاة والسلام أن تتشرف بإرضاعه حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد.

قال ابن إسحاق: فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب، واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعته - يعني زوج حليلة - الحارث ابن عبد العزى ابن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بن الحارث، وخدامة بنت الحارث، وهي الشيماء، وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني جهم بن أبي جهم - مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب، ويقال له مولى الحارث بن حاطب - قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: حدثت عن حليلة بنت الحارث أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعاء، في سنة شهباء - مجدبة - فقدمت على أتان لي

قمراء^(١)، قد أذمت بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا (هزالا)^(٢)،
ومعي صبي لنا، وشارف لنا والله ما تبض بقطرة^(٣) وما ننام ليلنا أجمع من
صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغذيه ولا في شارفنا
ما يكفيه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج.

فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول
الله ﷺ فتأباه إذا قيل إنه يتيم، تركناه وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه
وجده؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد، فأما أمه فماذا عسى أن
تصنع إلينا. فوالله ما بقي من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري،
فلما لم أجد غيره وأجمعن الانطلاق، قلت لزوجي الحارث بن عبد
العزى: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع،
لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، فقال: لا عليك أن تفعلي فعسى أن
يجعل الله لنا فيه بركة، فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أنني لم أجد
غيره.

فما هو إلا أن أخذته فجئت به إلى رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء
من لبن، فشرب حتى روى ثم شرب أخوه حتى روى، وقام صاحبي إلى
شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب فشرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير
ليلة، فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليلة والله إنني لأراك قد أخذت نسمة
مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟ فلم يزل
الله عز وجل يزيدنا خيراً. قالت: إنني لأرجو ذلك.

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا. وركبت أتاني - حمارتي -

(١) القمراء التي في لونها بياض.

(٢) أي أبطأت عليهم حبستهم أعت وتأخرت عن الجماعة.

(٣) أي ما ترشح.

وحملته عليها معي، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحبني ليقلن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب أربعي علينا، هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحلب ما شئنا، ونشرب ما حولينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياً، حتى إنهم ليقولون لرعاهم أو لرعيانهم: ويحكم، انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جياً ما فيها قطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لبناً نحلب ما شئنا.

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين، فكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً^(١) فقدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه قلت لها: دعيني نرجع بآبنا هذه السنة الأخرى فإننا نخشى عليه وباء مكة، فوالله ما زلنا بها حتى قالت: نعم، فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له في الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعا فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشد نحوهم، فنجداه قائماً منتعلاً لونه، فاعتنقه أبوه وقال: يا بني ما شأنك؟

قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقا بطني، ثم

(١) الجفر: الغليظ.

استخرجنا منه شيئاً فطرناه ثم ردها كما كان.

فرجعنا به معنا، فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، فانطلقني بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليلة: فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به، فقدمنا به عليها فقالت ما ردكما به يا ظئر، فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا: لا والله إلا أنه الله قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وكنا نخشى الإلتلاف والأحداث نرده إلى أهله، فقالت: ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله إنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى، قالت: حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه^(١)، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما.

هذا الحديث رواه ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية في السيرة النبوية وقال عنه بعد ذلك: وهذا الحديث قد روي من طريق آخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي^(٢).

فلم تجد أمانة في حمله تعباً ولا ألماً ولا صعوبة، ولا في وضعه كذلك.

ويؤيد ذلك حديث شق صدره الشريف عليه الصلاة والسلام عندما كان في بني سعد.

(١) ومرادها أن النساء ما حملن حملاً أخف من حمله.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٢٢٨.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، فغسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، ولم يجد الماء، ولا صبأً، ولا تعباً، ولا صعوبة^(١).



(١) صحيح مسلم في كتاب الإيمان رقم ١٦٢ .

السيدة حليلة تَرَدُّهُ إِلَى أُمِّهِ

كانت حليلة تحرص حرصاً شديداً على بقاء النبي ﷺ عندها بسبب ما رأت من البركة التي أكرمها الله بها، وكانت تزيه أمه كل سنة مرة وتطلب منها في كل مرة أن تتركه عندها فتقول لها: لو تركت بني عندي حتى يبلغ، فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم تزل بها حتى رده معها.

وبعد ما حدث له ﷺ ما حدث من شق صدره الذي مر معنا، خافت عليه فردته إلى أمه، ومر معنا أيضاً أنها تحدثت رضي الله عنها عن ذلك فقالت: قال لي أبوه: يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك، قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت قلت: نعم، قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟ قالت قلت: بلى، قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضواء قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه^(١)، ووقع حين ولدته وإنه لو وضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلق راشدة^(٢).

(١) قالت ذلك بسبب ما كانت تسمع من ثقل الحمل على النساء الحوامل.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٣.

والوفاء كان من أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا حفظ النبي ﷺ للسيدة حليلة السعدية مالها من يد عليه في مدة رضاعه، مع أنها هي التي شرفت به وأكرمها الله تبارك وتعالى بما أكرمها به من سعة في رزقها ويسر في عيشها كما مر معنا، إذ حلت بركته عليه الصلاة والسلام على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير، ثم عادت على هوازن بكاملهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر، فذكروه برضاعه فيهم فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم.

قال محمد بن إسحاق في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجرعانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن سرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا لخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، فلو أنا ملحنا ابن أبي شمر^(١) أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين ثم أنشد :

امنن على نسوةٍ قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها دُرُرُ
امنن على نسوةٍ قد كنت ترضعها وإذ يزبنك ما تأتي وما تذرُ

وقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ.

(١) يعني أرضعنا، وابن أبي شمر هو الحارث الغساني.

وسياتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية، وكانوا ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً، حتى قال أبو الحسين بن فارس: فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم.

فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة^(١)!

وهذا يؤكد أيضاً بركته على والدته بنجاتها يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

وقال القاضي عياض رحمه الله في الشفا: ولما وردت حليلة السعدية على النبي ﷺ، بسط لها رداءه وقضى حاجتها، فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر، فصنعا لها مثل ذلك.

قال نور الدين القاري في شرح الشفا روى ابن سعد عن عمرو ابن سعد بن أبي وقاص مرسلاً قال لما وردت حليلة السعدية أي أمه من الرضاعة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، زائرة مسترفة - وفي سيرة الدمياطي أن الواردة عليه إنما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة - بسط لها رداءه وقضى أي نفذ حاجتها رعاية لحرمة الرضاعة، وفي الحديث: «حسن العهد من الإيمان»^(٢).

وهذا الحديث أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال: «كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما

(١) السيرة النبوية لابن كثير .

(٢) شرح الشفا ٣/ ٦٨٢ .

خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان».

وقد قدم عليه أيضاً زوج حليلة والده رضاعاً فأسلم، فقد ذكره يونس ابن بكير في روايته فقال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني سعد بن بكر قال: قدم الحارث بن عبد العزى أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة على رسول الله بمكة حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا؟ فقال: وما يقول؟ قالوا يزعم أن الله يبعث الناس بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شئت أمرنا وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أي بني! ما لك ولقومك؟؟ يشكونك ويزعمون أنك تقول: إن الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنة ونار؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم» فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة^(١).

(١) هامش السيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٩.

النَّبِيُّ فِي رِعَايَةِ أُمِّهِ وَجَدِّهِ

الفهرس

عاش النبي ﷺ بعد أن رده حليمة إلى أمه، في كنف أمه ورعاية جده عبد المطلب.

قال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله ^(١) وحفظه أي في رعاية الله ، ينبته نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته ^(٢).



(١) كلاءة الله : رعايته.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٥٥ .

إِجْلَالُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

قال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنية إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً. ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع^(١).

وعن نافع بن جبير قال : كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب. فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه، ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤتين مَلَكًا.

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به فإننا لم نر قدماً أشبهه بالقدم التي في المقام منه^(٢) فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

وقال عبد المطلب لأم أيمن، وكانت تحضن رسول الله ﷺ: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة.

(١) المرجع نفسه ١٥٦/١.

(٢) وأرادوا أثر قدم إبراهيم عليه السلام التي في المقام والتي قال الله عنها: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وبنو مدلج كانوا مشهورين بالقيافة وهو علم معرفة الناس من آثار أقدامهم.

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال: علي بابني، فيؤتى به إليه. فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياته (١).



(١) الوفا باحوال المصطفى ١/ ١٢٠.

وفاة أمه بالأبواء

قدر للنبي ﷺ أن يصاب بموت أمه كما أصيب بموت والده من قبل وعند ماكن جنينا كما مر معنا.

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو و ابن حزم أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت وهو ابن ست سنين في الأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله (أي أخوال جده عبد المطلب) من بني عدي بن النجار تزييره إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة^(١). ولعلها قصدت أيضاً زيارة قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب.

فغن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين فنزلت به دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. وكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك . لما نظر إلى أطم - حصن - بني عدي بن النجار في المدينة عرفه فقال : كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذه الآطام، وكنت مع غلمان من أخوالي نُطَيْرٌ طائراً كان عليه يقع؟. ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنتم العوم - السباحة - في بئر بني عدي بن النجار.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٣٥.

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، قالت أم أيمن :
فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته . فوعين
ذلك .

ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه
آمنة بنت وهب، فقبورها هناك فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت
تحضنه (١) .

وعندما احتضرت كان النبي ﷺ عند رأسها، فأغمي عليها، ثم أفاقت
فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك ربِّي فيكَ من غُلامٍ	يا ابنَ الذي في حوْمَةِ الحِمامِ
فَجَّابِعونِ المَلِكِ المِنْعامِ	فُودي عَدَاةَ الضَّرْبِ بالسَّهامِ
بمائَةٍ مِنْ إِبِلِ سِوَامِ	إِنْ صَحَّ ما أَبْصرتُ في المِنامِ
فَأنَّتْ مَبْعوثٌ إلى الأَنامِ	من عَند ذِي الجِلالِ والإِكرامِ
تُبْعثُ في الحِجْلِ والحِرامِ	تَبْعثُ بِالتَّحقيقِ والإِسلامِ
دينِ أَيْبِكَ البَرِّ أِبْراهِمِ	فاللَّهُ يَنهاكَ عَنِ الأَصنامِ

الأَّتواتيها مع الأَقوامِ

ثم أقبلت فقالت: كل حي ميت وكل جديد بال، وكل كثير
يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيراً، وولدت طهراً، ثم
ماتت (٢) .

(١) الوفا باحوال المصطفى ١/١١٧ .

(٢) تحاف الورى بأخبار أم القرى، للنجم عمر بن فهد ٨١٢-٨٨٥هـ، ١/٩٠ .

وأخرجه السيوطي بسنده عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها كذلك،
وزاد فيه: فكنا نسمع نوح الجن عليها، فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاة البرة الأمانة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة	أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة	صارت لدى حفرتها رهينة ^(١)



(١) الخصائص الكبرى ١/ ٨٠.

النبي يزور قبر أمه في الأبواء

لم ينس النبي ﷺ أمه وشفقتها عليه وعنايتها به، فظل يذكرها رغم الأحداث الكثيرة التي مرت عليه، فبعد خمس وخمسين سنة تقريبا، وبعد هجرته إلى المدينة المنورة زار ﷺ قبرها في الأبواء بعد أن استأذن ربه في زيارتها، وبكى ﷺ عند قبرها وأبكى من كان معه.

ولما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية في الأبواء قال: «إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه» فأثارة رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، وقيل له فقال: «أدر كنتني رحمة رحمتها فبكيت»^(١).

وقد صح أنه ﷺ مر بالأبواء في أول غزوة غزاها، ففي صحيح البخاري في أول كتاب المغازي قال: باب غزوة العشيرة أو العسيرة.

قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء، ثم بواط ثم العشيرة.

ثم روى بسنده إلى زيد بن أرقم أنه قيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة قال: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة. قلت فأيهم كانت أول؟ قال: العشير أو العشيرة. فذكرت لقتادة فقال: العشيرة^(٢).

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١/١١٨، وقد نقل أن هذه الزيارة كانت عند الفتح، وبه أذن ﷺ بزيارة القبور.

(٢) صحيح البخاري في المغازي رقم ٣٩٤٩.

قال ابن حجر رحمه الله : والأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد، قرية من عمل الفرع. بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً قليل سميت بذلك لما كان فيها من الوباء، وهي على القلب، وإلا لقليل الأبواء.. وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق اختلاف لأن الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية، ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة «وهو بالأبواء أو بودان»^(١).

فالأبواء تقع في منتصف طريق مكة المدينة القديم تقريباً الذي يمر بمنطقة بدر، وهي قرية من وادي ودان، بينهما ستة أميال أو ثمانية ، ولتقاربهما يطلق على غزوة الأبواء غزوة ودان. ولا يبعد أن تكون قرية مستورة هي من وادي ودان، لأن وادي ودان واقع بين مستورة والأبواء، فبين مستورة وبين قرية الأبواء اليوم نحو ثلاثين كيلو متراً في طريق ذات حجارة ممهد بالأسفلت، وهذه الحجارة يسمونها الصمد - بفتح فسكون - أي ليست حرة وليست صخوراً.

ومن المعلوم أن ما بين جدة ومستورة مسافة تقدر بـ ١٩٦ كلم. فالأبواء وودان ومستورة كلها منطقة واحدة تدخل في نواحي الفرع لضمرة وغفار وكنانة، ولكن الأبواء أهمها وأعظمها^(٢).

ويطلقون اليوم على الأبواء اسماً آخر، وهو الخريبة، لأن سيلاً عظيماً أتى عليها قديماً فخرّبها ثم عمرت من جديد.

(١) فتح الباري ٧/ ٢٧٩.

(٢) كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم للشيخ محمد طاهر الكردي المكي ص ٨٠ ط ١.

روى أبو نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت:
شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت فيها ومحمد عليه السلام
غلام يقع عند رأسها ، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:
« كل حيٍّ ميتٌ ، وكل جديدٌ بالٍ ، وكل كثيرٌ يفنى ، وأنا ميتةٌ وذكرى
باقٍ ، وقد تركت خيراً وولدتُ طهُراً » .

* * *

أيُّ أم محمد رسول الله ﷺ ...
أيُّ سطرٍ في كتابِ الوجودِ أمليتهِ على الكرامِ الكاتبين
فنعموا لك واستجابوا لقولك مؤمنين؟
وأيةُ آيةٍ من سفرِ الخلودِ رتلتها ساعة وداعك الدنيا الفانية
وفيها ابنك الحبيب محمد ﷺ نور الوجود ورمز الخلود؟
وأيُّ إلهامٍ ألقى عليك هذه الكلمات
في ساعة يعصر فيها الوجد قلب الحبيب

* * *

إنكِ قلتِ: أنا ميتةٌ وذكرى باقٍ
فقال الوجود أجل يا أم محمد
وقلتِ وقد تركت خيراً وولدت طهُراً
فقالَت السماء: نعم يا أم محمد

وكفأك ذكراً أنك أم محمد رسول رب العالمين
وكفأك فخراً أنك أم محمد أظهر المطهرين،
وسيد المرسلين. (١)



(قبر السيدة أمّة بنت وهب ، أم الرسول ﷺ)



(الوادي الذي يربط بين قرية الأبناء وقبر السيدة أمّة بنت وهب أم الرسول ﷺ)

(١) محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون.

أقوال العلماء في نجاة والديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام

هذا نبي كريم ورسول عظيم اختاره الله تعالى وكرمه وأكرمه واختار له أبوين كريمين وأوجده من خلاصة ولد عدنان ومن الأصلاب الطاهرة من البشرية.. والأنساب الفاخرة ومن جواهر النطف.. وكما قال السيوطي: إن كل الأحاديث تصرح في مجملها لفظاً وكلها بمعانيها أن أباء النبي ﷺ وأمّهاته من آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر.. وليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حق الكافر إنه مختار ولا طاهر ولا مصطفى بل يقال عن الكافر إنه نجس.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب أن لا يكون في أجداده ﷺ شرك بل ما زال يتنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزاكية وما زال يتنقل نوره من ساجد إلى ساجد قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٣٩﴾﴾ فهذه الآية تدل على أن جميع آباءه ﷺ كانوا مسلمين.. وهكذا قال ابن حجر المكي: إن أمهات النبي ﷺ إلى آدم وآبائه كذلك مختارون كرام والأمهات طاهرات.. والكافر لا يقال له طاهر.. ولا يقال في حقه مختار.. وهكذا يرى كل عاقل ومحب ومؤمن بأن الآثار عندما تجمع وتحلل وينظر فيها بعمق ينتهي الأمر إلى خلاصة مهمة وهي أن أبوي الرسول ﷺ أقل ما يقال عنهما: أنهما كريمان.. ناجيان لأنهما من أهل الفترة ولم تبلغهما الرسالة وحاشا لله أن يعذب من لم تبلغه الرسالة وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.. وأبوه عبد الله

مات كما جاء معنا في الكتاب الذي بين أيدينا وهو في بطن أمه..
وأمه السيدة آمنة.. ماتت وهو ابن ست سنين على أغلب الأقوال
وهكذا فهما ناجيان بنص القرآن..

وقد عجبت لرجال يتكلمون في محاولة إثبات أن والدي الرسول ﷺ
في النار بغير علم ولا فهم ولا كتاب منير.. وهو خطأ وزلة قدم خاصة
عندما ينسبان إلى الشرك وليسا بمشركين وهذا من باب إيذاء النبي ﷺ وأي
أذى أعظم من أن يقال إن أبويه ﷺ في النار...

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في المقالة الثالثة من كتابه المسمى
ب: «لب القول في أبي الرسول ﷺ وآله: «إن أبي الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم من أشرف أهل الجنة. وسئل عن رجل قال أن أبا الرسول
ﷺ في النار. فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ وقال لا أذى أعظم من
أن يقال إن أباه في النار»^(١).

ولقد كنا نناقش هذا الموضوع مع أستاذنا الشيخ الفقيه والعالم
المحدث السيد إسحاق عزوز.. وكان له منهجه في تناول هذا
الموضوع بأدب.. وكان يرى أنه ليس من مصلحة العامة التعرض
لهذا الموضوع حتى لا تنزل بهم الأقدام في متاهات أو إساءات
يؤذون فيها رسول الله ﷺ وكان مذهبه أن تقتصر مناقشة هذا الموضوع
على أهل العلم والفقه وأن تتم المناقشة بعلم وأدب وحب وتقدير
واحترام لرسول الله ﷺ ونسبه الشريف الطاهر.. وأصله الطيب..
وآبائه وأجداده الكرام.. وقد سلك السيد إسحاق عزوز جزاه الله

(١) نقلا عن أنباء الاصفاء في حق آباء المصطفى ﷺ، عمر بن قاسم الأماصي.

خيراً في مسلكه للدفاع عن أبوي الرسول ﷺ مسالك علمية.. وأول هذه المسالك ما جاء في القرآن الكريم مما يستدل به على نجاة الأبوين.. بل على طهارة أجداده وآبائه ثم اعتمد على ما جاء في الحديث النبوي الشريف فأورد الأحاديث الصحيحة ثم أورد شواهد عليها بحيث يشد بعضها بعضاً.. وأعجبني أنه تجنب كل حديث فيه كذاب أو وضاع ولهذا فإني سوف ألقى الضوء على فكرته ومنهجه في الدفاع عن أبوي الرسول ﷺ لأنه منهج معتدل وعلمي..

ففي المسلك الأول الذي يعتمد على ما جاء في القرآن الكريم من آيات تثبت نجاة الأبوين.. بل تثبت نقاء وطهارة الآباء والأجداد.. وأول هذه الأمور هو أن الأصلاب والبطون التي حملته عليه الصلاة والسلام هي المقصودة بما جاء في القرآن الكريم على لسان أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾

وفي قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

وفي قوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

وفي قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾

وهنا نأتي إلى النقطة المهمة وهي أن دعوة سيدنا إبراهيم عندما قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ أي أنه قد سأل الله أن يجعل في ذريته من ولده إسماعيل أمة مسلمة وما تناسل منهم فالمقام كان مقام الدعاء وسؤال الله أن يبقى هذا الإسلام في ذريته ثم جاء

التعقيب... ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهذا يوضح بجلاء أن المقصود ذرية إسماعيل دون سواهم من ولد إبراهيم ثم دعا أن يبعث الرسول من هذه الأمة المسلمة.. ومن هذا الفرع بالذات..

ويرى السيد إسحاق عزوز - رحمه الله - أن هذا الأمر لا يتصور أي لا سيما من تصور بعثته ﷺ من الأمة المسلمة من ولد إسماعيل إلا إذا كان دين إبراهيم سوف يمثله في القرون التي بينه وبين بعثة نبينا محمد الله و أن الزمان من سيدنا إسماعيل لا يخلو من قوم مسلمين منهم.. إلى البعثة المحمدية.. وأنه ظلت فئات وأقوام ولو قليلون يدينون بملة إبراهيم في التوحيد الخالص ولا يعبدون الأصنام..

وقد أخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال لا يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله..

إن إبراهيم قد خص بدعائه أمة من ذريته تبقى فيهم ملته ولا تدرس على تطاول القرون إلى أن يبعث الله فيهم رسوله محمداً ﷺ منهم..

ولما لم يكن ممكنا بعثته من جميع أعراق ذريته كان أولاهم باحتسابه منهم هم أبائهم وأجدادهم وأمهاتهم فيكون منهم نسبا قريبا وملة.

قال السيوطي في الحاوي: كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم عليه السلام فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا باصطفاء، وانتقل

إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ، ولما وضح أن إبراهيم دعا أن يبعث الله ذريته أمة من مسلمة، فأبى النبي ﷺ وأجدادهم داخلون في هذه الأمة، لأنهم فيها حتى لو عممنا أن المقصود الأمة الإسلامية، فأبى الرسول ﷺ وأجدادهم داخلون فيها، ومحمد الرسول هو المقصود بالآية: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ .

قال سفيان بن عيينة لما سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال : لا ، ألم تسمع قوله تعالى عن الدعوة التي دعاها أبونا إبراهيم عليه السلام : ﴿وَأَجْبُنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ كما رواه ابن أبي حاتم.

وكذلك أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد أنه قال: «استجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته».

وهذا ينطبق على كل من خص بدعائه : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ ومنهم آباؤه وأجداده ﷺ أن تبقى فيهم ملته ولا تدرس من آباءه وأجداده ومن نزر قليل خصهم الله بعنايته ممن لم يبدلوا ولم يحرفوا...

روى عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

ونقل عبد الرزاق في تفسيره عن ابن معين عن قتادة في الآية قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

ولما كان هذا مقررا عند العلماء، فقد ذكروا أن آزر الكافر ليس أباً إبراهيم، إنما أبوه اسمه تارح، وأخرج ابن المنذر قال ابن جريح: الآية في عقب إبراهيم لم يزل في ذريته من يوحد الله ويعبده بقوله لا إله إلا الله.

قال ابن المنذر: وقول آخر: «فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة».

وهكذا اختار الله لنبيه آباءه وأمهاته من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمه آمنة فأخرجه إلى الدنيا وجعله سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة العالمين^(١).

ودعونا الآن ننتقل إلى المسلك الثاني بخصوص نجاة الأبوين الكريمين لرسول الله ﷺ.. فنستعرض ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن نجاة الأبوين كما جاء في كتاب السيد إسحاق عزوز..

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه».

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٢).

(١) الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحاق عزوز.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل برقم (١)، والترمذي في المناقب رقم (١) ج ٥ / ٥٤٣ (٣٦٠٤) وأحمد في مسنده: ٤٠٧ / ٤.

قال ابن تيمية: قضية الخبر أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم.

وفي ذخائر العقبي للمحب الطبري من حديث واثلة بلفظ: «إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من إبراهيم إسماعيل واصطفى من مضر كنانة وقريشاً ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من هاشم»^(١).

روى الترمذي وحسنه وأحمد والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»^(٢)، وروى نحوه من حديث المطلب بن أبي وداعة، ومن حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنهما.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى

(١) ورد ذكره سابقاً.

(٢) الترمذي في المناقب: ٥/٥٤٤ (٣٦٠٥)، وأحمد في مسنده ١/٢١٠، ٤٠/١٦٦.

انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً»^(١).

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»^(٢).

روى الطبراني عن ابن عمر أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى اختار خلقه فاختر منهم بني آدم ثم اختار منهم العرب فاختر منهم قريشاً فاختر منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاخترني فلم أزل خياراً من خيار. ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فيبغضني أبغضهم»^(٣).

وروى الطبراني وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام قال: «قلت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم»^(٤).

قال ابن حجر: «لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن».

يريد والله أعلم أن الأحاديث الكثيرة تؤيده في أفضليته ﷺ وفي أفضلية بني هاشم على سائر القبائل.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره المناوي في التيسير ١/ ٣٧٤.

(٢) أخرجه ابن عساکر ١/ ٣٤٩، والسيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤ و ٥/ ٩٨.

(٣) والحديث ذكره عياض في الشفا ١/ ١٨٢ نقلاً عن الطبراني في الأوسط، وأورده الهيثمي في مجمع ٩٤.

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢١٧، وعزاه للطبراني في الأوسط وأورده الصالحى الشامى في

سبل الهدى: ١/ ٢٢٩.

وأخرج ابن مردويه قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ، ثم قال: «أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح».

وقال السيوطي أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى والبخاري في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية بنت عبد المطلب: منا رسول الله ﷺ فقالوا: نبتت النخلة أو الشجرة في الأرض الكساد فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب. فقام على المنبر فقال: «يا أيها الناس من أنا؟». قالوا: أنت رسول الله. قال: «انسبوني». قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال: «فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إنني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً»^(١).

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه قال بلغ النبي ﷺ أن أقواماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت من كناس فغضب رسول الله ﷺ فقال: «إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلاً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، ثم قال: أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً»^(٢).

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج قال: ليس آزر أبا إبراهيم وإنما هو إبراهيم بن تيرخ أو تارخ بن شاروخ بن ناحور بن فالغ.

(١) ذكره السيوطي في الحاوي: ١/٣٧٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٥.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٧.

قال: والعرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً كما قال تعالى:
﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبراهيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه أزر، وإنما اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح
عن مجاهد قال: ليس أزر أبا إبراهيم.

قال السيوطي:

«اعلم أن الأحاديث يصرح أكثرها لفظاً وكلها معنى أن آباء
النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر
ليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حق الكافر. إنه مختار ولا طاهر ولا
مصطفى بل يقال نجس. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب
ألا يكون في أجداده مشرك فما زال منقولاً من الأصلاب الطاهرة
إلى الأرحام الطاهرة وما زال ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد كما
قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ ﴿فَالآيَةُ تَدُلُّ
عَلَى أَنَّ جَمِيعَ آبَائِهِ ﷺ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَحِينَئِذٍ وَجِبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ وَالِدَ
إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَمَهُ» اهـ.

قال ابن حجر الهيتمي المكي: الأحاديث مصرحة لفظاً ومعنى أن
آباءه وأمهاته ﷺ إلى آدم مختارون كرام وأن أمهاته طاهرات، والكافر لا
يقال في حقه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس. اهـ.

وهكذا طهر الله رسوله بالحفظ في الأصلاب والأرحام وطفلاً وناشئاً وكهلاً حتى قدسه بظهور نبوته وشرفه بالقربة وطيبه بروحه وجلله ببهائه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه^(١).

وهكذا نرى في هذا المسلك ما يؤكد ذلك المنهج ويؤيد الفكر وينطبق مع المنطق السليم لسلامة الأبوين الكريمين لرسول الله ﷺ.

وإذا ما تعمقنا بدقة فيما مر بنا من آيات وأحاديث وآثار نرى أن كل أصل من أصوله عليه الصلاة والسلام منذ آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله هو من خير قرن إلى خير قرن.. ومن أفضل أصل إلى أفضل.. ومن أظهر رحم إلى أظهره.. وقد ظلت الأرض بإرادة الله ومشيتته من سيدنا آدم لا تخلو من أناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه وبهم تحفظ الأرض.. والكون من الهلاك..

وقد أورد السيد إسحاق عزوز نصوصاً تدل على أن الأرض لم تخل على مر القرون من مسلم في كل القرون وأورد - رحمه الله - أحاديث وشواهد على ذلك..

منها: ما رواه عبد الرزاق في مصنفه بإسناده على شرط الشيخين عن ابن جريج قال: قال ابن الصيب: قال علي بن أبي طالب: «لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها».

ومثل هذا لا يقال بالرأي فله حكم المرفوع.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد في الزهد والخلال من كرامات

(١) الحجج الواضحات في نجات الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ١٢، ٢٠.

الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: ما خلعت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض وله حكم الرفع أيضاً.

وقوله من بعد نوح لأنه من قبله كان الناس كلهم على الهدى.

ومنها: ما رواه البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين^(١).

وفي الحاوي للسيوطي قال ابن أبي حاتم في تفسيره: «بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً».

وفي الحاوي أيضاً: «إن سام بن نوح مؤمن بالإجماع» لأنه كان مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

ثم ساق السيوطي آثاراً يعلم من مجموعها أن أجداد الرسول ﷺ من آدم إلى زمن نمرود كانوا مؤمنين بيقين، قال: ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل.

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي.

(١) أورده الحاكم في المستدرک: ٢/٢٤٦.

وقال ابن كثير في «تاريخه»: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة فأحدث عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية.

وقال السهيلي في «الروض الأنف»: كانت العرب قد جعلوا عمرو ابن لحي مطاعاً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوه شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم. اهـ^(١)

فهو أول من غير دين إبراهيم ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيعة وحمى الحامي وأول من أدخل في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وتبعته العرب ومع ذلك بقيت بقايا من دين إبراهيم وظلت خزاعة على الحرم إلى أن انتزع منهم قصي ولاية البيت، وأخرجهم من مكة.

وقال السيوطي: وهذا يثبت أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون حيث لم يدخل التبديل والتغيير في شريعة إبراهيم إلا في زمن عمرو بن لحي الخزاعي.

ثم أخرج السيوطي روايات عن ابن عباس والطبري وابن سعد في طبقاته والسهيلي في «الروض الأنف» ووكيع في كتاب «الدرر من الأخبار» ما يدل مجموعها على بقاء كل من عدنان ومعه مضر وإلياس وكعب بن لؤي وولده مرة، وغيرهم من العرب كربيعة وخزيمة وأسد وتميم وضبة وقصي على الإيمان. ونقل عن

(١) أورده السهيلي في الروض الأنف: ١/١٠٢.

الماوردي في «دلائل النبوة» وأبي نعيم في «دلائل النبوة» أن كعب بن لؤي كان يخطب قريشاً يوم العروبة وهو يوم الجمعة فيذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ويبقى بعد مرة من آبائه ﷺ: كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب وعبد الله والده ﷺ، وما ذكرناه من دعوات إبراهيم عليه السلام لذريته من إسماعيل عليه السلام ﴿وَأَجْبُنِي وَيَتَىٰ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ يدل على أن من ذريته من بقي على الإيمان وأولاهم به سلسلة الأجداد والآباء الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في دعاء إبراهيم عليه السلام في الآيات السابقة. وقد دل ما سبق من دلائل على إيمانهم وحسبك ما رأوا من دلائل نبوته التي نقلت عنهم.

قال أبو الحسن الماوردي في كتابه أعلام النبوة: «إن الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة، وقد قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّلْجِدِينَ﴾: أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتفاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية فيزول عنه أن يشارك فيه ويمائل فيه فلذلك مات عنه أبواه في صغره فأما أبوه فمات وهو حمل في بطن أمه شهرين، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين وإذا خبرت حال نسبه وعرفت

طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ليس في آباءه مسترذل ولا
مغمور مستبدل بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد
من شروط النبوة . اهـ (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَلِيكَاتِ النَّبِيِّينَ
وَمَلِيكَاتِ النَّبِيِّينَ

(١) الحجج الواضحات في نجات الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ٢٨، ٢٢ .

إيمانُ أمهاتِ الرّسول ﷺ

كان الرسول ﷺ يعتز بأمهاته وجداته ويقول كما جاء معنا: «أنا ابن العواتك والفواطم» ^(١) ولكن الأمر المهم الذي ناقشه في هذا الفصل هو قضية إيمان أمهاته ﷺ فقد عقد أستاذنا السيد إسحاق باباً خاصاً لذلك، وأثبت أن أمهاته قد سلمن من الشرك.. وأنهن طاهرات من السفاح..

قال السيوطي في «حاويه»: استقرت ^(٢) أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات فأم إسحق سارة، وأم موسى وهارون يوحانذ، وأم عيسى مريم، وحواء أم شيث، مذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن.

ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل. ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم ورجحه أبو حيان في تفسيره.

وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم والد كافر ولهذا قال نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ ، وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ، ولم يعتذر من استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه وهذا يدل على أنها كانت مؤمنة ، وقد دلت الأخبار السابقة على أن أزر الذي استغفر له لم يكن إلا عمه، وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه

(١) ذكره المناوي في التيسير : ٣٧٥ / ١.

(٢) تتبعت.

عن ابن عباس قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة (نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم السلام) (١).

وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين، لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولاد أولادهم، فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم.

وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب، فالظاهر إن شاء الله - إيمانهن (أي أسوة بالآخرين) فكذلك أم النبي ﷺ لو كان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في حديث أحمد والبخاري والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرابض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت» (٢) وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام ولا شك

أن الذي رآته أم النبي ﷺ في حال حملها وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء كما سبق في كتب السيرة.

قال السيوطي: وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

(١) أورده الحاكم في المستدرک: ٥٦٧/٢.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٤ / ١٢٧ و ١٢٨، والحاكم في المستدرک: ٦٠٠/٢.

تَقَلَّ أَحْمَدُ نُورًا عَظِيمًا تَلَا فِي جِبَاهِ السَّاجِدِينَ
تَقَلَّبَ فِيهِمْ قَرْنًا فَقَرْنَا إِلَى أَنْ جَاءَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ
وَقَالَ أَيْضًا:

حَفِظَ الْإِلَهَ كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ أَبَاءَهُ الْأَمْجَادَ صَوْنًا لِاسْمِهِ
تَرَكَوَالسَّفَاخَ فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُهُ مِنْ آدَمٍ حَتَّى أَيْبِهِ وَأُمِّهِ
وَقَالَ الشَّرَفُ الْبُوصَيْرِيُّ صَاحِبُ الْبُرْدَةِ:

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْغَيْبِ تُخْتَا رُ لَكَ الْأَمْهَاتُ وَالْأَبَاءُ
مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ
تَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلِيَاءُ، بَعْدَهَا عَلِيَاءُ
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمِ آبَاؤِهِ كُرْمَاءُ
نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحَلَاهُ قَلَدْتَهَا نَجْوَمَهَا الْجُوزَاءُ^(١)

(١) الحجج الواضحات في نجات الأبوين والاجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ٣٣، ٣٨.

موضوعُ أهلِ الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة

ونأتي الآن إلى موضوع أهل الفترة^(١) الذين لم تبلغهم الدعوة وماتوا قبل بعثته ﷺ ومنهم أبواه الكريمان وبعض أجداده.. وأهله ودعونا ننظر في هذه المسألة فالحقيقة أن أكثر العرب كانوا يقولون بانتسابهم إلى ملة إبراهيم عليه السلام.. إلى أن ظهر الفساد على يد عمرو بن لحي^(٢) الذي جلب الأصنام إلى مكة.. واستغل مركزه وإطعامه وإنفاقه وأغرى الناس.. بل أمرهم بعبادة الأصنام التي احضرها وزينها له الشيطان من شواطئ جدة واستغل غلبة الجهل وخلو الزمان من مبلغ ولهذا فإن العرب عامة ما بين بعثة سيدنا عيسى عليه السلام وبعثة سيدنا محمد ﷺ هم على مراتب :

- ١- منهم من بقي على ملة إبراهيم عليه السلام فوحد الله ولم يعبد الأصنام كأبائه ﷺ وقس بن ساعدة وغيره، فهؤلاء مؤمنون ناجون.
- ٢- منهم من دخل في شريعة حق قائمة كمن تهود وتنصر فحكمه حكم أهل الدين الذي دخل فيه ، مالم يلحق الإسلام الناسخ لكل دين فإنه سيعذب إذا لم يؤمن.

(١) أهل الفترة نوعان:

١- الذين لم يرسل لهم رسول من بعد اسما عيل عليه الصلاة والسلام حتى محمد ﷺ.
٢- الذين وجدوا في عهد الرسل ولكن لم يرسلوا إليهم.

(٢) رآه النبي ﷺ ايجار قصبه في النار، فهو من الأربعة الذين استثناهم الرسول من أهل الفترة ومنهم امرؤ القيس وحاتم الطائي وعترة لأمرور ارتكبوها.

٣- ومنهم من لم تبلغه دعوة لأي نبي كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى فهؤلاء أهل فترة.

٤- ومنهم من كان في زمن جاهلية ملأ الجهل الأرض وفقدت الشرائع من آل يعقوب ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض والشام وغيرها ولم يعهد للجاهل تقلب في الأسفار إلى مواطنهم ولم يعمر عمراً طويلاً يمكنه من التنقيب، فهؤلاء أهل فترة أيضاً إذا لم يشركوا بالله.

٥- ومنهم من لم يشرك ولا دخل في شريعة ولا ابتكر لنفسه شريعة، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، فهؤلاء أهل فترة أيضاً، وفي الجاهلية من كان كذلك.

٦- ومنهم من بدل وغير وأشرك ولم يؤمن وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم أكثر العرب اتبعوا عمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع لهم الضلالات وأدخل في التلبية ما ليس منها وزاد بعضهم عليه من بعده ضلالاً من عبادة الجن والملائكة ووآد البنات واتخاذ بيوت جعلوا لها سدنة وحجاجاً يضاهاون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة، وعلى هؤلاء يحمل من صح تعذيبه لكفرهم بما لا يعذرون به.

٧- ومنهم من بلغته دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره، فهو في النار قطعاً بلا نزاع.

وأهل الفترة نوعان:

١- الذين لم يرسل لهم رسول بعد إسماعيل حتى محمد عليهم الصلاة والسلام.

٢- الذين وجدوا في عهد الرسل ولكن لم يرسل إليهم.

وعليه لابد من معرفة أن جميع الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كانت دعواتهم قديمة ضيقة خاصة بأقوامهم فقط ولا تشمل غيرهم وذلك لأمرين:

أ) كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم كانوا يخاطبون أقوامهم خاصة، انظر قول موسى عليه السلام: ﴿لِمَ تَقُودُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ... وقول عيسى عليه السلام: ﴿يَبْنَىٰ إِسْرَٰئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

وهذا هو الموجود في التوراة والإنجيل اليوم. وكذلك الآيات القرآنية: ﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

ب) قوله ﷺ كما في حديث جابر رضي الله عنه المتفق عليه: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي»^(١)... وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة والآيات القرآنية تتفق على عموم دعوته ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ..

لذا فأهل الفترة بالنسبة للعرب في الحجاز هم من بعد إسماعيل عليه

(١) ذكره البخاري في كتاب التيمم برقم (١)، ومسلم في كتاب المساجد برقم ٤٣، ٤٤، ٥.

السلام إلى زمن نبينا ﷺ.. والذي يهمنا مناقشته هنا هو قضية أهل الفترة وهل يعذبون أم لا.. فقد قال السيوطي في «حاويه»: أطبقت أئمتنا من أهل الكلام والأصول على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً من العذاب، وذلك لأنه لا تعذيب قبل البعثة، ومن الإثباتات التي ساقوها من القرآن الكريم.. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره في الآية عن قتادة قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر أو تأتية من الله بينة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ رُبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَارِ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٨﴾ ذَكَرْنَاهَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا عَذَابَ الَّذِي لَمْ يَتْرَحْمُونَ ﴿٢٩﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

هذا وقد صحت أحاديث بتعذيب أشخاص من أهل الفترة ذكروا بأسمائهم ممن بدل وغير الشرائع وشرع من الضلال ما لا يعذر، والذين روي ذكرهم عن الرسول ﷺ: امرؤ القيس، وحاتم الطائي وعمرو بن لحي، وعترة، والله أعلم..

أما أهل الفترة فإنه يراد بهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني ولم تبلغهم أي دعوة حق أصلاً كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ .

ومن أهل الفترة من أرسل إليهم نبي ولكن اندرست شريعته كلية. فإن لم تدرس شريعته بالكلية - ولو طرأ عليها التحريف والفساد - فليس أهلها أصحاب فترة كاليهود والنصارى فإنهم ليسوا أهل فترة بسبب تحريفهم وتبديلهم، أما العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام فإنهم كانوا خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام^(١).

والخلاصة أن أهل الفترة بنص القرآن لا يعذبون لأن الدعوة لم تبلغهم.. ولكن على أي حال.. فإن في المسلكين السابقين من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ما يغني عن كل ذلك، وأن النبي ﷺ تنقل في الأصلاب الطاهرات والأرحام الزاكيات فما افترت فرقتان منذ آدم عليه السلام إلا كان في خيرهما.. ويكفينا .. ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ وأنه دعوة أبيه إبراهيم الذي دعا له...: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ والمقصود بالأمة في الآية: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسَلِّمَةً لَكَ﴾ هم الذين كانوا على الملة حتى مبعث النبي ﷺ وآمنوا به والله تعالى أعلم .

(١) الحجج الواضحات في نجات الأبوين والاجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ٤٥، ٤١.

موضوعُ إحياءِ الأبوين وإيمانُهما برسولِ الله ﷺ

ذهب بعض الدارسين إلى تعقب حديث ضعيف يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها .. أن الرسول ﷺ قد ذكر لها بأن الله سبحانه وتعالى قد علم حزنه وألمه لوفاة أمه وأبيه قبل أن يبعث، وأنه قد خشي عليهما ولهذا فقد دعا الله لهما وأكرمه الله بأن أحيهما فأمنابه ثم ماتا بعد ذلك..

وقد عقد الفقيه الحنفي المشهور ابن عابدين فصلاً خاصاً في كتابة «رد المحتار على الدر المختار» قال فيه : وقد أكرم الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ بحياة أبويه له حتى آمنابه، كما في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما وأنهما انتفعا بالإيمان بعد الموت على خلاف القاعدة إكراماً لنبيه ﷺ..

كما حصل مع قتيل بني إسرائيل ليخبر عن قاتله، وكما كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، والحديث الذي يروى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ينزل بالحجون كئيباً فأقام بها ما شاء ثم رجع مسروراً قال: «سألت ربي عز وجل فأحيا أمي فأمنت بي ثم ردّها».

وقد قال المحب الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والقرطبي وابن ناصر الدين وابن المنير وابن سيد الناس قالوا: إن هذا الحديث غير موضوع وليس من رواته من أجمع على جرحه هو من قسم الضعيف الذي تجوز روايته في الفضائل والمناقب، وقد جاء

هذا في السبب الشاني وشرح المذاهب للطبري للشيخ زهير (٢٠٦).

والحقيقة أن لا حاجة لمثل هذا الحديث.. لأن البعض يقول قد أحيا الله له أمه السيدة آمنة عندما كان في الحجون.. والبعض يقول أحيا له أمه وأباه... وقد أعجبت بمذهب السيد إسحاق عزوز الذي ذهب إليه في أنه لا حاجة إلى الاحتجاج به لعدم ثبوته.

فقد اتضح لنا من الدراسة التي تقدمت أنهما وكل أجداده قد ظلوا على الحنفية.. أي على دين جدهم إبراهيم عليه السلام.



المتحنفون من قريش

والراجح - والله سبحانه أعلم - أن والديه ﷺ ناجيان يوم القيامة لأنهما كانا من المتحنفين. وهم الذين لا زالوا متمسكين بعقيدة التوحيد، مائلين عن عقائد الشرك والوثنية. وقد وُجد في قريش قبيل بعثة النبي ﷺ بعض المتحنفين كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، الذي مات قبل بعثة النبي ﷺ. فقد عقد له البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باباً خاصاً ذكر فيه ثلاثة أحاديث هي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١)، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظماً له.

قال موسى - هو ابن عقبة - حدثني سالم بن عبد الله - ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلي أن أدين به فأخبرني فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟ فهل تدلني

(١) بلدح: مكان بطريق التنعيم، ويقال هو واد.

على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله. فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم.

وقال الليث: كتب إليّ هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموءودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها^(١).

وهذا يؤكد نجاة والديه عليه الصلاة والسلام لأنهما ماتا في زمن الفترة، وهو ما رجحه العلامة ابن عابدين رحمه الله في قوله: وأما الاستدلال على نجاتهما بأنهما ماتا في زمن الفترة، فهو مبني على تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وأن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً. وهو المرجح عند أهل السنة والجماعة. والبخاريون من الماتريديين وافقوا الأشاعرة، وحملوا قول الإمام: لا عذر لأحد في الجهل بخالقه على ما بعد البعثة. واختاره

(١) صحيح البخاري في المناقب ٣٨٢٦-٣٨٢٧-٣٨٢٨.

المحقق ابن الهمام. لكن الألويسي قال في تفسيره روح المعاني في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ استدل بالآية على إيمان أبي النبي ﷺ كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة، وقال: أنا أخشى الكفر على من يقول فيهما بغير ذلك، يعني أن من تكون فيه الجرأة على أبي النبي ﷺ وإيذائه بدون علم يخشى عليه الكفر في نظر الألويسي. وفسره كثيرون أي يراك متقبلاً في أصلاب وأرحام المؤمنين من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، فجميع أصوله رجالاً ونساء مؤمنون.

قال عبد العزيز وعمدة من استدل على إيمان الأبوين هو ابن عباس وقتادة، كما رواه جماعة منهم الطبراني والبزار وأبو نعيم والخلال فقد فسروا الثقلب في أصلابهم حتى ولدته أمه ﷺ، والحديث « لم أزل أتقل في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات حتى ولدت من آمنة وعبد الله»^(١). ويؤكد أيضاً نجات أهل الفترة من النار ما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»^(٢).

قال النووي: هو المذهب الصحيح الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى^(٣).

(١) روح المعاني ١٣٨/١٩. وأورد على هذا آزر أبا إبراهيم فإنه كافر بمقتضى الآيات، وأجاب عنه العلماء بأنه عم إبراهيم وليس بأبيه.

(٢) صحيح البخاري في الجناز ١٣٨٣.

(٣) فتح الباري ٢٤٧/٣.

ويؤكد ما ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله قوله تعالى: ﴿فَطَرَتْ
 اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم الآية ٣٠]، أي الزموا أصل الخلقة التي خلق
 الناس عليها. فالفطرة: الخلقة وزناً ومعنى، والمراد القابلية للتوحيد
 والاستعداد له والله خلق الناس قابليين له غير نابيين عنه ولا منكرين
 له، لكونه مجاباً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما
 اختاروا عليه ديناً آخر.

فأهل الفترة - والله سبحانه أعلم - كانوا لا يزالون على الفطرة لم
 تبلغهم دعوة النبي ﷺ.

فالمتحنفون هم حملة كلمة التوحيد التي بقيت في ذرية إبراهيم
 عليه السلام حتى بعث نبينا ﷺ، فلما أعلن إبراهيم عليه السلام
 براءته مما يعبد أبوه وقومه جعل كلمة التوحيد باقية في عقبه، حتى
 بعث فيهم رسول الله ﷺ دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا
 كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۚ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ
 الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الزخرف الآيات ٢٦-٢٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۚ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي
 وجعل إبراهيم كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله) باقية في ذريته، فبقي
 فيهم من يوحد الله ويدعو إلى عبادته وحده، لعل المشركين منهم يرجعون
 عن شركهم بدعاء الموحدين، فقد اهتم عليه السلام بغرسها في نفوس
 أبنائه ووصيتهم بها، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي ۚ إِنَّ اللَّهَ
 صَطْفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة الآية ١٣٢]. وقد انتهت

هذه الكلمة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ببركة الدعوات الخاشعات التي رفعها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الله تعالى وهما يرفعان قواعد بيت الله الحرام : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة الآية ١٢٩] . ومر معنا أن رسول الله ﷺ يمتد نسبه الشريف إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. ففي الحديث الشريف الذي مر معنا والذي أخرجه مسلم في الفضائل أنه ﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل..» وأخرجه الترمذي في سننه بلفظ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إبراهيم وإسماعيل..» وقال: هذا حديث صحيح.

وخلاصة القول نصاب قرآنيان يقطعان بنجاة أهل الفترة، ولا تردهما أي رواية، وهما قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ (١) ، فهاتان الآيتان تنصان على أن الله ينزل عقوبته وعذابه على الناس إلا بعد الإنذار وإرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (٢) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ (٢) وكلا النصين جاء بأسلوب النفي والاستثناء الذي يفيد القصر والحصر للمعذبين، وبأسلوب النكرة في سياق النفي الذي يفيد عموم الخبر، قال تعالى: ﴿ لَسُنْذِرُ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ . فهذه الآية تبين أن قومه ﷺ لم يرسل إليهم رسول من قبل، والله تعالى أعلم .

(١) القصص / ٥٩ .

(٢) الأنعام / ١٥٥، ١٥٦ .

المعدَّبُونَ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ

والجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يذكر أنه يعذب من أهل الفترة في النار إلا رجلاً: هما عمرو بن لحي كما مر معنا، لأنه أدخل الوثنية على العرب وجلب إليهم الأصنام. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء، يجر قصبه في النار»^(١).

وقال ابن المسيب: قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السيوب»^(٢). وقوله «قصبه» يعني أمعاءه. وقوله «أول من سيب السيوب» أي ترك السائبة، وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها، وتركوها مسييةً بسيلها وسموها السائبة. قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة ١٠٣].

وأخبر ﷺ أيضاً أن امرأ القيس في جهنم مع أنه من أهل الفترة لكثرة ما صرح في شعره من الكفر والفجور، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن امرئ القيس: «صاحب

(١) ذكره مسلم في كتاب: الجنة ونعيمها باب ٦٣ (٥).

(٢) أورده البخاري في المناقب (٩) وتفسير سورة النساء / ١٣، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٥٠-٥١.

لواء الشعراء إلى النار» ، وجاء في عنبرة أيضاً، وجاء في حاتم الطائي أنه لم يشكر الله في حياته قط، وجاء أيضاً في عبد الله بن جدعان غير الأربعة فالمستثنون من أهل الفترة أربعة هذا ما وصل إليه علمنا.



أدلة المخالفين للرأي بِنَجَاةِ الْأَبْوِينِ وَالرَّدِ عَلَيْهِم

احتج المخالفون القائلون بعدم نجاة والدي النبي ﷺ بظاهر الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»^(١).

وفي رواية ثانية عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»^(٢).

وليس في الحديث - كما هو ظاهر - حجة لهم، فعدم إذن الله تبارك وتعالى للنبي أن يستغفر لأمه، لا حجة فيه. بل إن في زيارة النبي ﷺ قبر أمه وقيامه على قبرها ما يدل على نجاتها، لأنه منهي عن الصلاة على الكافرين والقيام على قبورهم بصريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَبَدَّلَ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة ٨٤]. فزيارته ﷺ قبرها وقيامه عليه وبكاؤه عنده، كل ذلك يدل على نجاتها من المسؤولية والحساب يوم القيامة.

ومر معنا أنها من أهل الفترة وأن أهل الفترة ناجون من المسؤولية لعدم وصول الدعوة إليهم بصريح قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

(١) أخرجه مسلم في الجنايز ٢ / ٦٧١ (٦٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في الجنايز ٢ / ٦٧١ (١٠٨).

نَبَعَتْ رَسُولًا ﴿ وَقَوْلُهُ : أَيضاً : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ فأم القرى هي مكة المكرمة، والرسول هو سيدنا محمد ﷺ.

وقد يكون بكاؤه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به بعد الرسالة كما قال القاضي عياض رحمه الله (١). وقد روي بأن الله رحم بقاءه فأحيها له حتى آمنت به.

واحتج المخالفون أيضاً بظاهر ما رواه مسلم في صحيحه عن طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا رسول الله : أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار» (٢).

فقوله : «إن أبي وأباك في النار» كما قال النووي في شرح صحيح مسلم : هو من حسن العشرة للتسوية بالاشتراك في المصيبة. وأوله بعضهم فحمله على أبي طالب، إذ يطلق الأب أحياناً على العم فهو صنو الأب، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة الآية ١٣٣] ولا شك أن إسماعيل عم يعقوب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ثم نأتي إلى النقطة الأخرى بخصوص أم المصطفى ﷺ وما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بشأن استئذان النبي ﷺ في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له كما رواه مسلم وأبو داود.

(١) وقد أول الحديث هذا التأويل علماء أجلة كثيرون.

(٢) صحيح مسلم في الإيمان رقم ٢٠٣.

ومعلوم أيضاً أن النهي عن الاستغفار للمشركين وعن القيام على قبر مشرك كان من قبل حجة الوداع التي حصل فيها الاستئذان، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّاتِ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ ، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيكُم مَّوَدَّةُ الَّذِينَ ذَلَّوْاْ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ ، ورسول الله ﷺ لا يطلب الأمر الذي نُهي عنه، ولا يرتكب ما نهاه عنه ربه وهو طلب استئذانه للاستغفار لها، واستئذانه لزيارتها إنما هو لأنه صحت طهارتها عن دنس التلوث بالشرك ودليل على إسلامها وعدم موتها على الشرك، وعدم الإذن له في الاستغفار لها لا يدل على أن الاستغفار لها غير مقبول أبداً إذ يجوز أن يؤذن في وقت ولا يؤذن في وقت فيؤخر إلى مجيء الوقت المعين فيستجاب عند مجيئه، وقد ورد بأن الله أذن له بالاستغفار لها.

كما أن عدم الإذن بالاستغفار لها لا يقتضي أنها من أهل النار أو يقتضي شركها، لأن هذا الاحتمال معارض بما هو أرجح منه، وهو ماسبق في المسلكين من أدلة قرآنية وأحاديث على أن كل أصل من أصوله ﷺ كان متديناً بالملة الإبراهيمية استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْبُنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وأن أولى الناس من ذريته من إسماعيل عليه السلام باستجابة دعائه فيهم هم سلسلة أصوله الشريفة الذين دعا أن يبعث الرسول منهم حيث خصوا بالاصطفاء ونقل نور النبوة إليهم واحداً بعد واحد، ولما دلت عليه الأحاديث أن كل أصل من أصوله كان خير أهل قرنه.

فتعين لهذا تأويل الحديث بأنه كان يطلب إحياءهما ليتشرفا بصحبته ﷺ بالإيمان به، أو لأنه طلب الإذن بالاستغفار، وقد ورد بأنه استجيب له

فيما بعد، والله أعلم.

وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً فإن هذا مما يدل على أن أبوي النبي ﷺ ليسا في النار لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أشد منه قرباً وأبسط عذراً إذ لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعنا بخلاف أبي طالب^(١).

وحدث أبي وأبوك في النار قلنا المراد به تسليية السائل، و تخفيف همه، وقد قال كبار العلماء، إذا كان المقصود ظاهره فالمراد بالأب أبوطالب، فالعرب تدعو العم أباً.

وختاماً فلا دلالة بأي شكل من الأشكال على وقوع الشرك من أبوي الرسول ﷺ كما ذهب البعض ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل هما من ذرية ابراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالاسلام، ودعا بيعث الرسول ﷺ منهم فقبل الله دعوته وحفظ ملته، حتى خرج الرسول ﷺ من هذه السلالة الطاهرة، من نسل طيب متسلسل طاهر عن طاهر وطيب عن طيب. فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

(١) الحجج الواضحات في نجات الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز، ص ٦٧، ٦٢.

دموعُ في الأبواء

أما عن دموعه ﷺ في الأبواء عندما استأذن في زيارة أمه أو في الحجون فذلك محمول على شففته عليه الصلاة والسلام عندما تذكر أمه وحنوها وعطفها عليه وانقطاعها من كل شيء في الدنيا والتفرغ لتربيته فكانت الدموع تعبيراً عن هذا الحب وسؤال إلى الله عز وجل بأن لا يخزيه في والديه، ودموع النبي ﷺ عند قبر أمه لن يضيعها الله تبارك وتعالى، ولن تذهب هدرًا، لماله من المكانة العالية عند ربه.

وقد ألفت رسائل عدة لأئمة معتبرين في نجاته أبويه ﷺ منهم الإمام السيوطي.

وكما أخبره الله سبحانه وتعالى عندما بكى شفقة على أمته أنه سيرضيه في أمته ولا يسوؤه، كذلك سيرضيه سبحانه في أمه وفي أبيه ولا يسوؤه. ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهْنَّ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ مَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١). وقال عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢). فرفع يديه فقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو

(١) إبراهيم / ٣٦.

(٢) المائدة / ١١٨.

أعلم ، فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك ^(١) .

وقوله سبحانه للنبي ﷺ : « إنا سنرضيك » هذا موافق لقول الله عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ، وقد قال النبي ﷺ : «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار» .

ولما أنزل آيات ﴿فَأَنْذَرْنَاكَ نَارًا تَأْتِي ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۗ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (١٦) (وهو أمية بن خلف) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۙ﴾ (أبوبكر) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۗ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۗ﴾ (٢٠) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢١) أرسل الرسول ﷺ لأبي بكر وقال : «أنزل في ححك آيات» فتلاها عليه، فقال : «إذن لا أرضى وواحد من أمتك في النار» .

فسيرضيه ربه ولن يخزيه . وقد ورد من دعاء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء : ٨٧] أي أجرني يوم القيامة من العار والفضيحة عندما يحضر أبي في زمرة المعاندين الضالين . وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال : «يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم : يارب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون . فأبي خزي أخزي من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إنني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجلك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار» ^(٢) .

والذيخ ذكر الضباع إذا كان كثير الشعر .

(١) صحيح مسلم في الإيمان ٢٠٢ .

(٢) صحيح البخاري في الأنبياء رقم ٣٣٥٠ .

ولم يؤثر عن النبي ﷺ أنه سأل الله سبحانه وتعالى كما سأل إبراهيم
بالأخزيه يوم القيامة بوالديه، وهذا يؤكد نجاتهما.



وختاماً فهذا جهد حاولت فيه إلقاء الضوء على سيرة أبوي الرسول ﷺ والدفاع عنهما وعن أجداده ، وأنه ﷺ «خيار من خيار» وهو خلاصة ولد عدنان، أظهر البشرية، وأنفس جواهر النطف، واستعنت فيه بما كنا نتلقاه من دروس من أستاذنا الفقيه العالم السيد إسحق عزوز رحمه الله تعالى، ومن بعض أوراقه المخطوطة التي لم تنشر حتى اليوم، وقد كان مذهبه رحمه الله تعالى الأدب مع رسول الله ﷺ، وتحذير الناس من الجُرأة في إيذائه في نفسه أو في آل بيته الطيبين الطاهرين أو في نسبه، وكان دائماً يعلمنا بأنه من الأدب أن نتأدب مع رسول الله ﷺ بعد وفاته كالأدب معه في حياته، وأن نستفيد من أدب الصحابة رضوان الله عليهم معه في حياته، وكيف كانوا يتسابقون إلى رضاه، ولا يرفعون حتى أنظارهم إلى وجهه الكريم، بل كانوا يغضون الأبصار عنده ، ولهذا فمن الأدب معه ﷺ عدم التعرض لأبويه بسوء، فمن كان من عامة الناس فعليه بالصمت والبعد عن هذا الموضوع وعدم التعرض له، ويكفيه أن يعلم أن الرسول ﷺ هو «خيار من خيار» وأنه عليه الصلاة والسلام قد تنقل في تلك الأصلاب الطاهرة والأرحام الكريمة إلى أن خرج إلى الدنيا كريماً مكرماً طاهراً مطهراً ونوراً أضاء الله به هذا الكون.

أما إن كان الإنسان من أهل العلم فعليه أن يناقش هذا الموضوع أيضاً بأدب وعلم وأن يضع في اعتباره أنه إنما يناقش جوانب من سيرة رسول الله ﷺ... ولهذا فإنه في خاتمة بحثي هذا أود أن أحذر من أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في والديه، فإن ذلك

خطير وخطير جداً، ويخشى على قائله الخروج من الإيمان^(١)، وقد توعد الله جل جلاله الذين يؤذون النبي بأشد الوعيد فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] فلا ينبغي لمؤمن أن يؤذي رسول الله ﷺ في والديه أو يؤذي الأحياء من آل بيت النبي ﷺ في والديه عليه الصلاة والسلام، وقد صح عنه أنه قال «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»^(٢).

وعلينا أيضاً أن نتذكر ما مر معنا من قول العلامة ابن عابدين رحمه الله: إنه لا ينبغي ذكر الخلاف في هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب، وليست من المسائل التي يضر جهلها أو يسأل عنها في القبر أو في الموقف، فحفظ اللسان عن التكلم فيها إلا بخير أولى وأسلم^(٣) نسأل الله أن يرزقنا الأدب مع رسول الله ﷺ، ومع آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

محمد عبده يماني

(١) كما ذهب إلى ذلك الألويسي خاتمة المحققين في روح المعاني ج ١٩ ص ١٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده.

(٣) رد المحتار على الدر المختار ٢/٣٨٦.

مُلْحَقُ الْقَصَائِدِ

أُمُّ النُّورِ

آمنةٌ يا أمَّ النور
ياخيرَ وعاءٍ مختار
فوعاءِ النورِ حقيقته
والله اختارك للهادي
يا أمُّ للنور، وحسبُك أن
أمُّ للنور المذخور
من آدمٍ يحمله الأخيار
في السَّجَادِينِ تَقْلُبُهُ
واقْرَأْ في الشُّعْرَا آيَتَهَا
واقْرَأْ عنها ما قد كتبت...
ما أعظمَ أمًّا أهدتنا
ولدته يصاحبه نور
يا أمَّ الماحى... بعثته
يا أمَّ الخاتم... آيته
تبقى في الدنيا معجزةً
يا أمَّ الرحمة مُزجاةً
يا أمَّ العاقب.. آخر مَنْ
لم تحمل مثلك عذراءً
هو حاملٌ بشري مقدّمه

آمنة في يوم الصور
للنور زكى وظهور
أصفى من أصفى بلور
من نسلِ النضرِ التحرير
تُدْعِي فينا: أمَّ النور
يسرى ببطونٍ وظهور
ليوم تجلٍ وظهور
في طولِ عصورٍ ودهور
جلَّ القرآن عن الزور
فيها أعلام التفسير
مفتاح الخير المنشور
جلَّى في بصرى لقصور
محوً لظلام الدَّيْجُور
تُتلى بكتابٍ مسطور
عُظْمَى لسميعٍ وبصير
لجميع الكونِ المنشور
يُدْعَى ببشيرٍ ونذير
هي أمَّ مسيح التَّبشِيرِ
كالحاجب في ركب أمير

واقراً فى الصف بشارته
ما نالت حواء يوماً
فوليدك سيد من ولدت
يا أمّاً شرفها ربّي
من يشفع في يوم يابى
فدعاؤهمو: نفسي نفسي
فتقوم مقاماً محموداً
يا أمّاً شرفت الدنيا
بحبيب الله ، صفيّ
يا جدّة زهراء الدنيا
قد قلت لظئر خائفة
إبني ذو شأن يحفظه
ورأيت بمولده نوراً
وشهدت له عند نزول
آمنت بربى - لا يهدى
والله دعا الكافر أعمى
فضمير الكافر في سجن
لو شام أبو جهل نوراً
لا يشهد ذو ربن نورا
آمنة نور من نور...
واقراً فى السيرة ما قالت

بالأحمد في خير سطور
ما فزت به من توكير
أنثى بصحيح المأثور
بولادة أشرف مذكور
أن يفعلها أي كبير
من خوف حساب ومصير
في كل الجمع المحشور
بولادة أكرم مفظور
الله نجى السدرة والنور
حوراء الدنيا في الحور
من حادث شرح لصدور
باريه لأمر مقدور
فدعيه يا ظئر وسيري
بسجود للعرش مشير
بالنور سوى خير ضمير
أو ميّتا مثل المقبور
في جبّ الأوثان حقير
ما عاش لكيد وشور
يمتد لشام مستور
وطهور فؤاد مبرور
في ساعة موت مقدور

تستودعه وتُقَرُّ بِهِ
يا أمَّ الشافع والمحمو
هو دعوة إبراهيم أتت
تنجيهم من جور الأديا
وتحررهم من أوثان
وتعيد الفطرة للإنسا
حيثك الدنيا يا أمَّاً
وشفيح الخلق وهاديهم
وهده وتمضي لمصير
د وخير وليّ مشكور
لتجير الناس من النير
ن وذل الشرك المدحور
ما أعظمه من تحرير
ن وتمحو سوء التغيير
لوليد البيت المعمور
وإمام الرسل المنصور

مَعْدِنُ النَّبِيِّ

يا أبا المختار يا خيرَ أبٍ
يا أعزاً أحمدٍ غرته
يالها من غرة كم أضرمت
كم بذلن التوق في ترغيبه
فأباهن حراماً وارتدى
نسمةً من خير عدنانٍ أباً
والتقى فيها كريما مكة
قدّر الله له أمانةً
خصه الله بأمّ برةٍ
من أتى مثلك بابن كالنبي
غرة تكسّف ومضّ الشهب
قلب حسناواتها بالهلب
خلنه يأتي تتوق الأعزب
ثوب حزم وعفافٍ أعجب
أشرفت من شية المطلبي
أنت والغراء ذات الحسب
خيرة الله العليم الموجب
وأب برٍ وجدٍ معجب

ما الذي يبلغ شعري فيهمو
ولي أني صغته من أنجم
بنت وهب خير أم أنجبت
درة زفت إلى خير فتى
سيد من خير سادات سرى
ساجد من ساجد أخبرنا
منذ أهدى آدم غرته
ثم إبراهيم جد الأنبياء
قبسة من نور ربي أشرقت
بالذبيحين ازدهت في مكة
كان إسماعيل فيها أولاً
وأثاها هاتف بشرها
سيد الرسل وحادي جمعهم
رحمة الله إلي الخلق الذي
قد نماه ساجد من ساجد
أمه أزكى وعاء ضمه
كلهم هاد حنيف مؤمن
فارقوا الأوثان والخمر ولم
كلهم بر صدوق منفق
خيرة من خيرة من خيرة
والذي ينزهم في قوله

ولو اقتدت عنان السحب
ما وفت في شأنهم من أرب
سيد الدنيا سني المنصب
هو عبد الله عالي النسب
فيهم النور بكل الحقب
عنهم القرآن فوق الريب
ظهر شيث وإلى نوح الأبى
ثم إسماعيل جد العرب
كل جيل في جبين منجب
وأهلت في ربيع مخصب
ثم عبد الله عوناً للأب
بالوليد الأحمد المنتخب
صاحب الفرقان ختم الكتب
ربه أولاه أسمى أدب
تحت عين الله في كل أب
من أب أجداده في النجب
عارف بالمصطفى المرتقب
يُعرفوا بالفحش أو بالكذب
لم يعش في شح جمع النسب
خصها الله بأعلي الرتب
هو مؤذ للنبي العربي

سَادِرٌ فِي غِيهِ مَسْتَهْتَرٌ
كَذَّبَ الْمُخْتَارَ فِي أَقْوَالِهِ
حَسْبُهُ النَّارُ الَّتِي قَدْ بَرَزَتْ
وَالَّذِي يَرُوونَهُ مَسْتَنَكِرٌ
فَاحْفَظُوا الْمُخْتَارَ فِي عِتْرَتِهِ
حُبُّهُمْ حُبٌّ لَهُ نَرَجُو بِهِ
سَاقِطُ الرَّأْيِ عَدِيمُ الْأَدَبِ
يَشْتَرِي بِالْوَحْيِ سُوءَ الشَّغْبِ
لِلَّذِي يَقْدَحُ فِي آلِ النَّبِيِّ
رَدَهُ حَذَاقُنَا فِي الْكُتُبِ
وَكَذَا أُمٌّ وَجِدٍ وَأَبٍ
رَحْمَةُ اللَّهِ بِيَوْمِ الْغَضَبِ

الفهرس

- نور على نور ٥
- إنها آمنة ١١
- أنا ابن العواتك والفواطم ١٣
- النبي ﷺ بضعة أمه ١٦
- ابن الذبيحين ١٨
- الذبيح الثاني عبدالله والد النبي ﷺ ٢٣
- نذر عبد المطلب ٣٠
- الراغبات في عبد الله ٣٣
- المستقرُّ والمستودع ٣٨
- الزَّوْجُ الْمُبَارَكُ ٥٣
- بَشَائِرُ الْحَمْلِ الْمُبَارَكِ ٥٧
- وفاة عبدالله بن عبد المطلب ٦١
- زَمَنُ وِلادَةِ النَّبِيِّ ﷺ وإرهاصاته ٦٦
- آياتٌ ومُعْجِزاتٌ ٧١
- كانت ولادتها له ﷺ يوم الاثنين بمكة المكرمة ٧٥

- ٧٧ أَسْمَاؤُهُ الْكَرِيمَةُ ﷺ
- ٨٠ كُنَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ٨٢ شَرَفُ نَسَبِهِ ﷺ
- ٨٥ حَوَاضِنُهُ وَمَرَاضِعُهُ ﷺ
- ٨٧ رِضَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَنِي سَعْدٍ
- ٩٢ السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ تَرَدَّهُ إِلَى أُمِّهِ
- ٩٦ النَّبِيُّ فِي رِعَايَةِ أُمِّهِ وَجَدِّهِ
- ٩٧ إِجْلَالُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِلنَّبِيِّ ﷺ
- ٩٩ وَفَاةُ أُمِّهِ بِالْأَبَوَاءِ
- ١٠٢ النَّبِيُّ يَزُورُ قَبْرَ أُمِّهِ فِي الْإِبْوَاءِ
- ١٠٦ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي نَجَاةِ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ١٢١ إِيمَانُ أُمَّهَاتِ الرَّسُولِ ﷺ
- ١٢٤ مَوْضُوعُ أَهْلِ الْفِتْرَةِ الَّذِينَ لَمْ تَبْلُغْهُمُ الدَّعْوَةَ
- ١٢٩ مَوْضُوعُ إِحْيَاءِ الْأَبْوِينَ وَإِيمَانُهُمَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٣١ الْمُتَحَنُّنُونَ مِنْ قُرَيْشٍ
- ١٣٦ الْمَعْدُوبُونَ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ
- ١٣٨ أَدَلَّةُ الْمُخَالَفِينَ لِلرَّأْيِ بِنَجَاةِ الْأَبْوِينَ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ

١٤٢ دموعٌ في الأبواء

١٤٥ خاتمة

١٤٧ ملحقُ القصائد

١٥٣ الفهرس

